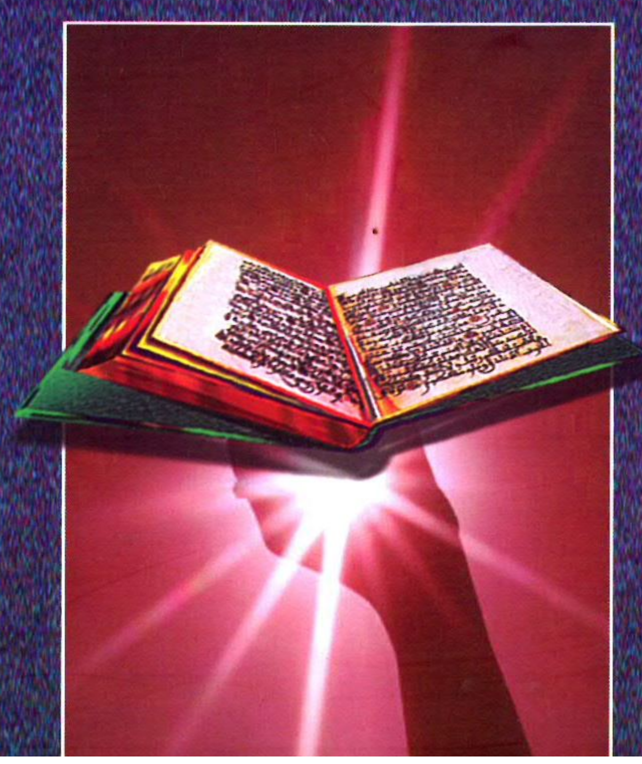
النظم القرآني

في تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون

تأليف الأستاذ الدكتور
عقيد خالد حمودي محيي العزاوي
جامعة بغداد
كلية التربية ـ قسم علوم القرآن الكريم

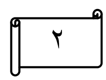


دار العصماء

توضيح البيان المكنون
في تفسير الدر المصون

تأليف

أ. د. عقيد خالد حمودي العزاوي
الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

صدق الله العظيم

سورة الواقعة: الآيات٧٧ – ٨٠



الإهداء

إلى . . .

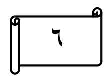
روح والدي . . .

ثمرة من ثمار جهده وتوجيهه وتربيته . . .

أسأل اللّه تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته . . .

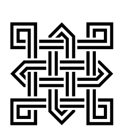
ويهب لي معه الرضا والرحمة والقبول . . .

المؤلف



تقديم دار العصماء

تتشرف دار العصماء للطباعة والنشر أنْ تقدِّم للقُرّاء الكرام كتاباً جديداً للمؤلف أ. د. عقيد خالد العزاوي الذي تناول في دراسته عَلماً من الأعلام المدرسة اللغوية والبلاغية متمثلة بالسَّمين الحلبي في تفسيره الدُّرُ المصون تحدث عن أصول البيان في ضوء أساليب القرآن، وتناول صنوف البلاغة العربية، وفيما استقرّت عليه، على نهج فنيٍّ سليم يبتعد عن التعقيد، ويستغنى عن التقسيمات المنطقيِّة المضنية، فتأنس بالتشبيه فناً عربياً، وبالاستعارة تصويراً حياً، وبالكناية تعبيراً مُهذّباً نقياً، وفي ذلك أساس للتمايز البلاغي، وميزان للتفاضل في القول. هذه هي فكرة الكتاب.



المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم على رسوله الذي ازدهرت أغصان شريعته في قلوب الموحدّين، وتلألأت أنوار هدايته فجلّت غياهب الشك بنور اليقين، محمد الهادي إلى أقوم السبل، المفضَّل على عامة الرُسل، صلى الله عليه وآله البدور السوافر، واصحابه النجوم الزواهر، ما سجدت جباه الاقلام في محاريب الدفاتر، واعتلت من الف الكرام الكاتبين أعلى منابر، وبعد:

لقد وصف الله ﷻ كتابه الكريم بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ «الزمر: ٢٣» فهو متشابه في صحة معانيه وأحكامه وتناسب ألفاظه وأساليبه وتكرار قصصه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده.

ومن هنا تناول المفسرون وعلماء الإعجاز والبلاغة والأسلوب، هذه الجوانب المتشابهة من حيث المعاني والصياغة، وكانت لهم في هذا المجال مدارس واتجاهات أثمرت ثمارا جنية من الدراسات القرآنية التي تناولت الإعجاز البلاغي والنظم القرآني لكشف أسراره.

إنَّ هذه الدراسة تتناول علماً من علماء اللغة والبلاغة فضلاً عن تفسير كبير ومهم من حيث التناول والطرح والجدّية ألا وهو تفسير السَّمين الحلبي المسمى «الدُّرُ المصوُن في علوم الكتاب المكنون».

ولّما كان تفسير السَّمين الحلبي –رحمه الله– من التفاسير اللغوية المهمة لما ينطوي من آراء بلاغية واسلوبية ودلالية لّما تُكتشف بعد، وعلى الرغم من أنَّه دُرِسَ من جوانبه اللغوية من قبل الباحثة رنا هادي[1] وسَلكت في دراستها

(١) أطروحة دكتوراه للباحثة رنا هادي، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، ٢٠٠٧.

الجانب اللغوي من حيث استعماله للمشترك اللفظي والترادف ومنهجه اللغوي، وعلل التعبير، وهذا كان بعيداً عن مجال دراستي[1] وكذلك هناك دراسات اخرى بعيدة عن منهجي ودراستي وتفضَّل باحث آخر بدراسة السَّمين الحلبي متناولاً فيه أثر السياق في تفسيره[2] وكنت مناقشاً لتلك الرسالة فاعجبني البحث والتفسير، وبعد قراءة التفسير قراءة دقيقة فاحصة وجدت فيه مادة بلاغية كبيرة مبثوثة في ثنايا هذا السفر الضخم واعجبتني قوة شخصية هذا المفسر الهمام وآراؤه التفسيرية واللغوية ولفتاته البلاغية. فقمت بجمع المادة، وكانت واسعة سعة الموضوع وحجم التفسير وقوة المفسر، وكثيرة المادة البلاغية، بعلومها الثلاثة، المعاني والبيان والبديع. ذاكراً رأيه ورأي غيره من العلماء وقد اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من التفاسير موازناً بينها وبين تفسير السَّمين الحلبي منها، معاني القرآن للفراء والكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، ونظم الدرر للبقاعي وغيرها من التفاسير القديمة والحديثة.

ومن المصادر التي اعتمدها كتاب اسرار البلاغة للجرجاني ومفتاح

---

(١) أ. دراسة الظواهر اللغوية والنحوية في القراءات الواردة في كتاب الدر المصون للباحث صالح ذيب صالح من كلية الاداب، الجامعة الاسلامية، سنة ٢٠٠٢.

ب. وردود السمين الحلبي على النحاة، رسالة ماجستير للباحث وليد عادل السبعاوي لسنة ٢٠٠٦ في الجامعة الاسلامية في تفسير الدر المصون لطالب الدكتوراه هشام فالح حامد من كلية الاداب الجامعة الاسلامية لسنة ٢٠١٠.

(٢) السياق وأثره في اظهار المعنى عند السمين الحلبي، شاكر محمود، كلية التربية، ابن رشد، ٢٠٠٩ رسالة ماجستير.

العلوم للسكاكي وتلخيص المفتاح للقزويني والبرهان للزركشي والاتقان للسيوطي، وغيرها من كتب اللغة والبلاغة والاسلوب.

وقد قسّمت البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة تضمنت نتائج البحث وثبتاً بالمصادر.

تناولت في الفصل الأول علم المعاني في تفسير السَّمين الحلبي متناولاً أهم الظواهر وهي: الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والذكر، وأسلوب القصر. وكان أطول الفصول كون علم المعاني لهُ ارتباط وثيق بعلم النحو ويكاد يكون اهتمام صاحب التفسير بالنحو أكثر من غيره من العلوم الأخرى.

وفي الفصل الثاني تناولت علم البيان عند السَّمين الحلبي في تفسيره ذاكراً اغراض التشبيه وانواعه، والاستعارة وانواعها، والمجاز العقلي، والاسنادي، والكناية والتعريض.

وجاء الفصل الثالث تناولنا فيه علم البديع في تفسير السَّمين الحلبي وذكرنا فيه أغلب أنواعه التي أوردها مفسرنا من السجع والجناس وأنواعه، والفاصلة القرآنية، والترديد والمشاكلة والمقابلة وأنواعها، والمذهب الكلامي، والالتفات، والمبالغة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وغيرها من الأساليب.

ثم جاءت الخاتمة؛ إذ حوت أبرز النتائج الرئيسة التي توصلت إليها الدراسة، ذكرناها في موضعها. ثم ثبتاً بمصادر الدراسة.

والحمد لله أولاً وآخراً

المؤلف

أ. د. عقيد خالد حمودي العزاوي

بغداد

◈ أولاً: سيرته:

١- اسمه ولقبه وكنيته ومولده:

هو الإمام شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسَّمين الحلبي، هذا هو المشهور في سلسلة نسبه ولقبه الذي اشتهر به غير أنَّ بعض المصادر تورد له جداً آخر هو عبد الدائم(١).

لُقِّبَ شهاب الدين، أحمد بن يوسف بالسَّمين الحلبي و لم تذكر كتب التراجم والطبقات تعليلاً لهذا اللقب إلاَّ أنَّهم ذكروا أنَّه اكتسبه في (حلب) قبل ارتحاله إلى مصر(٢). ويقول ابن الجزري في طبقاته عنه: هو أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود أبو العباس الحلبي المعروف بالسَّمين الحلبي(٣).

فيذكر أنَّ لقبه (السَّمين) وكنيته (أبو العباس).

وكانت ولادته في مدينة حلب وإليها نسب(٤)، أما عن زمن ولادته فلم تذكر كتب التراجم تاريخ ميلاده.

٢- نشأته العلمية والثقافية:

نشأ السَّمين الحلبي في مدينة حلب وفيها اكتسب لقب السَّمين، وحينما

---

(١) ينظر: غاية النهاية: ١/١٥٢، والدرر الكامنة: ١/٣٦٠ و٣٦١، وبغية الوعاة: ١/٤٠٢، وطبقات المفسرين: ١/١٠٠-١٠١، والأعلام: ١/٢٧٤، ومعجم المؤلفين: ٢/٢١١.

(٢) ينظر: شذرات الذهب: ٦/١٧٩.

(٣) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/١٥٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٥٢، وبغية الوعاة: ١/٤٠٣، والأعلام: ١/٢٧٤.

رحل إلى مصر وعاش بها حيناً من الدهر، صار ذا وجاهة في قومه، وذاع اسمه في الوسط العلمي.

وتذكر كتب التراجم أنَّ السَّمين الحلبي قد ولِّيَ تدريس القراءات والنحو بجامع ابن طولون، وولِّيَ نظر الأوقاف بالقاهرة، وناب عن بعض القضاة فيها[1]، وأنَّه استلم التدريس في مسجد الشافعي[2].

٣- شيوخه:

تلقَّى السَّمين الحلبي العلم بفروعه المختلفة على عدد كبير من الأساتذة الأجلاء، والعلماء الأفاضل، ومن أشهرهم:

١- التقي الضائع (٦٣٦-٧٢٥هـ):

هو محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، الشافعي، شيخ القُرَّاء بالديار المصرية، قرأ الشاطبية على كمال الضرير والكمال على مصنّفه ابن فارس، واشتهر وأخذ عنه خلق ورحل إليه الطلبة من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية ورواية، وكان ذا دين وخير وفضيلة ومشاركة قوية، تلقى السَّمين عنه القراءات فنبغ فيها[3].

٢- يونس الدَّبوسي (٦٣٥-٧٢٩هـ):

هو يونس بن إبراهيم بن عبد القوي، فتح الدين الكناني، الصقلاني ثم المصري الدبوسي، عالم بالحديث، مُعَمَّرٌ له معجم مخطوط، تلقى عنه السَّمين

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية: ١٨/٣.

(٢) ينظر: الدرر الكامنة: ٣٦٠/١.

(٣) ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٦٨/٦، وطبقات الشافعية: ٢٨٢/٢، وغاية النهاية في طبقات القراء: ٣٠٦/١، والأعلام: ٢٦٠/٨.

علوم الحديث، توفي بالقاهرة[1].

٣- العَشَّاب (٦٤٩-٧٣٦هـ):

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي القرطبي، أبو العباس، المعروف بالعَشَّاب، إمام مقرئ ثقة، روى القراءات عن عبد الله بن يوسف، وروى عنه محمد بن أحمد بن اللبان، وعبد الوهاب القروي، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي زكنون. رحل إليه السَّمين ليقرأ عليه الحروف في الإسكندرية، له «تفسير صغير» وكتاب في «المعاني والبيان»، توفي بالإسكندرية[2].

٤- أبو حيَّان (٦٥٤-٧٤٥هـ):

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد بغرناطة، ورحل إلى مالقة وتنقل حتى أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كُفَّ بصره. من مصنفاته «البحر المحيط» و«التذييل والتكميل» و«إتحاف الأريب مما في القرآن من الغريب» و«طبقات نحاة الأندلس» و«المبدع في التعريب»[3]، وأخذ السَّمين عنه النحو[4].

٤- تلاميذه:

لم تذكر لنا التراجم شيئاً عن تلاميذه إلا ما ذكرهُ صاحب الدرر الكامنة في معرض الحديث عن ابن قدامة المقدسي؛ إذ قال عنه: «وسمع من

---

(١) ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/٢٤، والأعلام: ١/٢٢٣.

(٢) ينظر ترجمته في: طبقات القراء: ١/١٠٠، والأعلام: ١/٢٢٣.

(٣) ينظر ترجمته في: غاية النهاية: ٢/٢٨٥، والأعلام: ٧/١٥٢.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية: ٣/١٨.

ابن عبد الدائم»[1].

٥- آثاره العلمية:

خَلَّف السَّمين الحلبي العديد من المؤلفات التي تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه ومن هذه المؤلفات:

١- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون، وقد فرغ منه في أواسط رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ويقع في أربعة أجزاء أَلَّفه في حياة شيخه أبي حيان[2] وبعض النساخ والمترجمين يسمونه إعراب القرآن[3].

٢- تفسير القرآن، وهو مطول يقع في عشرين مجلداً[4].

٣- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز.

٤- شرح التسهيل[5].

٥- شرح الشاطبية، وهو في القراءات سَمَّاه العقد النضيد في شرح القصيد[6].

٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ[7].

٦- وفاته:

توفي السَّمين الحلبي في القاهرة سنة ست وخمسين وسبعمائة هجرية في

---

(١) الدر المصوّن: ١/٩ وينظر: الدرر الكامنة: ١/٣٦٣.

(٢) ينظر: كشف الظنون: ١/١٢٢، وطبقات المفسرين: ١/١٠٢.

(٣) ينظر: الصبان على الأشموني: ٢/١٠٠.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين: ١/١٠٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٠٠، وشذرات الذهب: ٦/١٧٩.

(٦) ينظر: غاية النهاية في طبقات الفراء: ١/١٥٢.

(٧) ينظر: كشف الظنون: ٢/١١٦٦، والأعلام: ١/٢٦.

جمادى الآخرة أو في شعبان على خلاف بين المؤرخين في هذا، بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء والتأليف[1].

◈ ثانياً: تفسير السَّمين الحلبي ومنهجه فيه:

١- تفسيره وسبب تأليفه:

اختلف بعض المؤرخين والنساخ في تسمية الكتاب، فبعضهم يُطلق عليه «الدر المصون في علم الكتاب المكنون»[2]، ومنهم من يُطلق عليه «الدر المصون»[3]، وبعضهم يطلق عليه «إعراب القرآن»[4]، وأطلق عليه أيضاً «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون».

والإطلاق الأخير أولى بالقبول، وهذا ما يؤكده السَّمين الحلبي في مقدمة تفسيره؛ إذ قال:... وسميته بـــ«الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» [5].

أما عن سبب تأليفه فقد رأى السَّمين الحلبي ضرورة تأليف مُصنَّف يجمع علوم القرآن الكريم، ويرى أنَّها من بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم الإعراب، والتصريف، واللغة، والمعاني، والبيان[6]. ورأى من العلماء الذين سبقوه اهتمامهم بعلم من هذه العلوم في تفاسيرهم قائلاً: «... غير أنَّ منهم جماعة لم يقتصروا على هذه العلوم الخمسة في مصنف يجمعها بل ضموا

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٢٣.

(٢) ينظر: كشف الظنون: ١/١٢٢.

(٣) ينظر: الدرر الكامنة: ١/٣٦٠، والأعلام: ١/٢٧٤.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين: ١/١٠٠، وحاشية الصبان على الأشموني: ٢/١٠٠.

(٥) مقدمة المؤلف: ١/٤٦.

(٦) ينظر: مقدمة المؤلف: ١/٤٥.

إلى ذلك ذكر سبب النزول، وذكر القصص على ما فعله المفسرون؛ لأنَّهم لم يضعوا كتبهم إلاَّ لذلك، ومنهم من اقتصر على ذكر الإعراب فقط، ومنهم من اقتصر على علم مفردات الألفاظ فقط وترك شيئاً كثيراً من علم التصريف المتعلق باشتقاق اللغة مما لا يسع الإنسان جهله، ومنهم من اقتصر على معرفة نظمه وجزالته وبلاغته مما يتكفل به علم المعاني والبيان»[١].

ثم يرى أنَّ هذه العلوم متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض قائلاً: «فإن من عرف كون هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأً مثلاً ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النظم لم يحل بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها»[٢].

٢- منهجه في التفسير:

يبدأ السَّمين أولاً بذكر بعض ألفاظ، أو لفظة من الآية الكريمة ثم يُحلل هذه اللفظة من جميع الجوانب، من جانب اللغة، والاشتقاق والمعنى، وما تحمله من دلالات في الآية وخارجها ويدعم تحليله بالشواهد المختلفة ثم يُبين قراءتها، ويناقش كل قراءة، وما اختاره من تخريجات فيها ثم يعربها ويبين أقوال العلماء وآراءهم.

ونراه يهتم بالجانب النحوي كثيراً فإذا كان هناك موضع يحتاج إلى تفصيل يستطرد في ذلك كثيراً.

وقد تميز السَّمين بالتنظيم والدقة في تغطية علوم الآية التي هو بصدد الحديث عنها، مما يدل على دقة السَّمين وأمانته العلمية في تأليفه لهذا التفسير؛

---

(١) المصدر نفسه: ١/٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٥-٤٦.

إذ ينسب الأقوال إلى أصحابها.

وتميز أيضاً بالترجيح بين الأقوال والمذاهب المتعددة.

◈ ثالثاً: إعجاز القرآن في تفسير الدُّر المصون:

ارتبطت البلاغة بفكرة الإعجاز ولعل أكبر دليل على العلاقة بين إعجاز القرآن ووضع علم البلاغة العربية هو أنَّ الإعجاز البلاغي إذا أطلق يراد به البلاغة نفسها[1]، ولعل الغرض الديني كان أكثر الأسباب مدعاة لظهور البحث البلاغي وله الأثر الكبير في تطور البلاغة العربية[2]. «إذ تعد البلاغة والإعجاز توأمين يصعب التمييز بينهما»[3].

والعلماء متفقون على إنَّ القرآن أتى بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف والسَّمين الحلبي يؤكد هذا الرأي.

فالرماني (ت٣٨٤هـ) قال بتلاؤم الحروف وتعديلها في التأليف، والمتلائم في الطبقة العليا والقرآن كله متلائم بيِّن لمن تأمله[4]. وذهب الخطابي (ت٣٨٨هـ) إلى أنَّ إعجازه في فصاحة ألفاظه وحسن نظمه مضمناً أصح المعاني[5] ويذهب الباقلاني إلى أنَّ إعجاز القرآن كائن في عجيب نظمه وبديع تأليفه ورصفه[6]. ويذهب الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى أنَّ سر الإعجاز في

---

(١) ينظر: تاريخ فكرة إعجاز القرآن، ص٤٤.

(٢) ينظر: البلاغة عند السكاكي، ص٢٦٩.

(٣) نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، ص١٢٦.

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، ص٨٨، وإعجاز القرآن الكريم، ص٤٢.

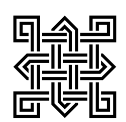
(٥) ينظر: بيان إعجاز القرآن، ص٢٣.

(٦) ينظر: إعجاز القرآن، ص٣٥-٣٦، والمعجزة الكبرى للقرآن، ص٣٠١.

الترتيب والنسق الذي تراه في ألفاظ القرآن والغرض الذي سيقت فيه[1].

ويرى الرازي أنَّ القرآن كما هو معجز في لطائف نظمه وبدائع ترتيبه وفصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته وأسلوبه[2].

أما عن السَّمين الحلبي فقد تكلم عن إعجاز القرآن في أثناء تفسيره للآيات الكريمة، فإنَّ القرآن عنده معجز من حيث النظم وجزالة ألفاظه قائلاً: «... القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته»[3].



(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢٤١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١/٣٩٤.

(٣) الدر المصون: ٣/١٨٨.

الفصل الأول

علم المعاني في تفسير السَّمين الحلبي

علم المعاني من علوم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة والتحليل، وهو نوع أشار إليه المصنفون القدماء، وأهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النحوي، فالجاحظ يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر الألفاظ، وسهولة المخرج، وصحَّة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السَّبك»(١).

وكلام الجاحظ تلخيص موجز لعلم المعاني يعطي للدارس الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

وجاء الجرجاني فوضع نظرية النظم التي قال فيها: «إنَّ النَّظمَ ليس شيئاً غير توخِّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكَلِمِ»(٢)، ويقول: «وهل تجد أحد يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلاَّ هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها»(٣).

وبوساطة نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري

---

(١) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.

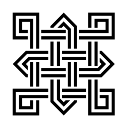
(٢) دلائل الإعجاز، ص٤٥.

(٣) أسرار البلاغة: ٧٩.

والقرطبي وأبي حيان ومفسرنا السَّمين الحلبي تناول هذه المباحث بالتوسع نظراً لاتساع علم المعاني في كتب البلاغة والتفسير عند العلماء الذين سبقوه.

وعلم المعاني عرّفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1].

أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار والإطناب...، وغير ذلك ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. ولم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وهذه الأحوال هي الهيئات والكيفيات.



(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٥٨، والإيضاح: ١٢/١، وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص٤٢.

المبحث الأول

الخبر والإنشاء

◈ الخبـــر:

الخبر (لغةً): خبرت بالأمر أي: علمته، وخبرت الأمر أخبرهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبرُ بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عما تستخبر[1].

الخبر (اصطلاحاً): من أقدم النحويين الذين عرفوا الخبر المبرد؛ إذ قال: «الخبر ما جاز على قائلهِ التصديق والتكذيب»[2].

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلاَّ بوصفه إعلاماً للآخرين أما أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب، يقول ابن فارس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»[3].

وعوَّل القزويني على آراء القدماء وبيَّن معنى الصدق والكذب في الخبر فقال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنَّه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقُهُ مطابقة حكمه

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣.

(٣) الصاحبي، ص١٧٩.

للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور وعليه التعويل»[1].

وقد استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبرية خالية من المؤكدات سمي الخبر ابتدائياً، وإذا أكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبياً، وإن أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكارياً ويبدو أنَّ علة التسمية نابعة من (حال المخاطب) إنْ كان (خالي الذهن من الحكم) أو (متردداً فيه) أو (منكراً له)، وعليه فالخبر ثلاثة أنواع[2]، ذكرها مفسرنا السَّمين الحلبي بقوله: «قال أهل البيان: الإخبار ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري، **فالأول**: يقال لمن يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زيد عارف. **والثاني**: لمن هو مُتَرَدَّدٌ في ذلك طالبٌ له بعض إنكار فيقال له: إنَّ زيداً عارف. **والثالث**: لمن يُبَالِغُ في إنكاره فيقال له: إنَّ زيداً لعارفٌ. ومن أحسن ما يُحكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكندي فقال: إني أجد في كلام العرب حَشواً قال: وما ذاك؟! قال: يقولون زيد قائم، وإنَّ زيداً لقائم فقال: كلا. بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائم إخباره بقيامه وإنَّ عبد الله قائم جواب لسؤال سائلٍ وإنَّ عبد الله لَقائمٌ جوابٌ عن إنكار منكرٍ...»[3].

◈ أغراض الخبر[4]:

للجملة الخبرية غرضان أساسيان وُضِعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما:

فائدة الخبر: ومعناه أنْ تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ

---

(١) الإيضاح: ٨٦/١، والتلخيص، ص٣٨.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٩/٢.

(٣) الدر المصون: ٤٧٨/٥.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

لازم الفائدة: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة أنَّ المتكلم عالم نحو: أنتَ جِئتَ: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى معانٍ مجازيَّة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وقد ذكر السَّمين الحلبي بعض هذه الأغراض في تفسيره منها:

١- الخبر للتهكم:

ذكر السَّمين الحلبي في تفسيره أمثلة خروج عن معناه الحقيقي إلى معنى التهكم مجازاً، فمن أمثلة ذلك ما قاله في قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فقال: «وهذا الكلامُ على سبيل التهكم وهو أغيَظُ للمستهزَأُ به، ومثله قول جرير لشاعر تَسمَّى زَهْرَةَ اليَمَنِ:

أَلَمْ تَكُنْ في وُسُومٍ قد وَسَمَتُ ... من كان موعظةً يا زَهْرَةَ اليَمَنِ[1]

وكان هذا الشاعر قد قال:

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها ... إني الأعز وإني زهرة اليمن[2]»[3]

وحمل الزمخشري هذه الآية الكريمة على الاستهزاء والتهكم قائلاً:

---

(١) ديوانه، ص٥٦٩، وروايته فيه:

ألم يكن في وسومٍ قد وَسَمتْ بهـــا ... من حان موعظةً يا حارثَ الـــيمنِ

(٢) لم أعثر على قائله.

(٣) الدر المصون: ٦/١١٨.

«يقال: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه»[1]، وحملها ابن جزي على التوبيخ والتهكم فقال: «يُقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك»[2]، وحملها بعضهم على الإنكار والتبكيت[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وتجعلون رزقكم» فيه أوجه: أحدها: أنَّه على التهكم بهم؛ لأنَّهم وضعوا الشيء غير موضعه. كقولك: شتمني حيث أحسنت إليه. أي: عكس قضية الإحسان ومنه:

مَكانُ شُكْرِ القَومِ عِندَ المِــــنن كَيَّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْءُ الأعيُنِ[4]

أي: شكر رزقكم تكذيبكم»[5]

وذهب الآلوسي إلى معنى التبكيت في الخبر[6].

٢- الخبر للتوكيد:

ويأتي الخبر ليؤدي معنى التوكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّ الخبر بعد «نحن» أتى به على سبيل التوكيد، إذ لو قال أم نحن لاكتفي به دون الخبر، ونظير

---

(١) الكشاف: ٥٠٧/٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٧/٤.

(٣) ينظر: الصاحبي، ص١٨٠، والبرهان، ص٥١٢.

(٤) لم أعثر على قائله.

(٥) الدر المصون: ٢٦٩/٦.

(٦) ينظر: روح المعاني: ١٥٧/٢٧.

ذلك جواب من قال: من في الدار؟ زيد في الدار أو زيد فيها، ولو اقتصر على زيد لكان كافياً»[1].

وهذا رأي أبي حيان وأبي السعود[2].

٣- الخبر للتبعيض:

ويأتي الخبر للتبعيض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال السَّمين الحلبي: «... وقد سأل سائل فقال: الخبر لابد أن يفيد غير ما أفاد المبتدأ... وأجيب عن ذلك: بأنَّ هذا تفصيل معنوي، لأنَّه تقدم ذكر المؤمنين، ثم ذكر الكافرين ثم عَقَّب بذكر المنافقين، فصار نظير التفصيل اللفظي نحو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٤]، و﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ [لقمان: من الآية ٦]، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، وأحسن من هذا أن يقال: إنَّ الخبر أفاد التبعيض المقصود، لأنَّ الناس كلهم لم يقولوا ذلك، وهم غير مؤمنين فصار التقدير: وبعض الناس يقول كيت وكيت»[3].

وهذا رأي أبي حيان[4].

٤- الخبر بمعنى الأمر:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٨]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره للآية: «قوله تعالى:

---

(١) الدر المصون: ٦/٢٦٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٨/٢١٠، وإرشاد العقل السليم: ٨/١٩٧.

(٣) الدر المصون: ١/١١٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١/١٨٢، واللباب في علوم الكتاب: ١/٣٣٠.

«والمطلقات يتربصن» مبتدأ وخبر، وهل هذه الجملة من باب الخبر الواقع موقع الأمر أي: ليتربصن، أو على بابها قولان. وقال الكوفيون: إنَّ لفظَها أمرٌ على تقدير لام الأمر، ومَنْ جَعَلَها على بابها قَدَّر: وحكمُ المطلقات أن يتربَّصنَ، فَحذَفَ «حكم» من الأول و«أنَّ» المصدرية من الثاني، وهو بعيدٌ جداً»[1]، فالظاهر أنَّه يرجح أن الخبر بمعنى الأمر. وهذا المعنى قال به أكثر العلماء[2].

٥- الخبر بمعنى النهي:

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «لا تضار» ابنُ كثير وأبو عمرو: «لا تضارُّ» برفع الراء مشددةً، وتوجيهها واضحُ، لأنَّه فعلٌ مضارعٌ لم يدخل عليه ناصبٌ ولا جازم فَرُفِعَ، وهذه القراءة مناسبة لما قَبلَها من حيث أنَّه عَطفَ جملة خبرية على خبرية لفظاً نَهْيَّةٌ معنى، ويدل عليه قراءة السابقين»[3].

وهذه القراءة يؤكدها النحاس بقوله: «وقرأ أبو عمرو وابن كثير لا تضار والدة بالرفع على الخبر الذي فيه معنى الإلزام»[4] وجعله بمعنى النهي وهذا المعنى ذهب إليه أكثر العلماء[5].

---

(١) الدر المصون: ٥٥٣/١.

(٢) ينظر: لباب التأويل: ٢٣٩/١، ومدارك التنزيل: ١١٩/١، وأنوار التنزيل: ٥٢٤/١، والبحر المحيط: ١٨٥/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢٦٩/١، والبرهان، ص٥١٢، والإتقان: ١٩٣/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨١/١، وروح المعاني: ١٣١/٢.

(٣) الدر المصون: ٥٧١/١، ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٦٠/٢.

(٤) معاني القرآن: ٢١٧/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٢/١، ومدارك التنزيل: ١١٣/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٦/١، والبحر المحيط: ٢٢٥/٢.

◈ الإنشـــاء:

الإنشاء (لغة): هو الابتداء أو الخلق أو الابتداع [1].

الإنشاء (اصطلاحاً): هو كلّ كلام لا يحتمل الصدّق والكذب، لأنّه نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان، ويعتمد على دفقات شعورية لا يمكن تكذيبها، وقد عللّ البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنّه يدلّ على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأوّل: الخبر، والثاني: الإنشاء» [2].

وينقسم الإنشاء على قسمين: طلبي وغير طلبي.

أما **الطلبي**: فهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

والغير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، ونعم الطالب زيد، وللإنشاء غير الطلبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـــ(بعت واشتريت)، والقسم. واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنّ تلك الأساليب أخباراً نقلت إلى الإنشاء.

---

(١) لسان العرب: مادة (نشأ).

(٢) الايضاح: ١/٨٥، والتلخيص: ص ١٥١، والطراز: ١/٦١.

قال التفتازاني: «فالإنشاء إنْ لم يكن طلباً كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا، لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها أو لأنّ أكثرها في الأصل أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء»[1].

والمراد بقوله (أكثرها) أن أغلب الإنشاء غير الطلبي خبر، وهنا يستثنى أفعال الرجاء والقسم، ولقلة المعاني المجازية المتعلقة بها، بعكس مباحث (الإنشاء الطلبي).

وعليه سيقتصر بحثي في الإنشاء الطلبي الكائن في خمسة أساليب:

الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

ونتعرف الآن على أنواع الإنشاء الطلبي الواردة في تفسير السَّمين الحلبي، فكلّما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل:

◈ أولاً: الأمر:

الأمر في البلاغة: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، قال العلوي: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[2]. وعرف السَّمين الحلبي الأمر بأنَّه: «طلب الأعلى من الأدنى»[3].

وللأمر أربع صيغ هي:

---

(١) تهذيب السعد: ٣/٢٩.

(٢) الطراز: ٣/٢٨١.

(٣) الدر المصون: ١/١٦٩، وينظر: ٣/٥٠٨.

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

٢- المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف دلالتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض الواردة في تفسير الدُّر المصون:

١- الأمر للدعاء:

يأتي فعل الأمر على سبيل التضرُّع وطلب الحاجة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، قال السَّمين الحلبي: «اهْدِ: صيغة أمر ومعناه الدعاء»(١).

وأضاف قائلاً في هذا الموضع: «إن وردت صيغة إفعل من الأعلى للأدنى قيل فيها أمر وبالعكس دعاء، ومن المساوي التماس»(٢).

وذهب ابن عادل الدمشقي إلى معنى الدعاء في الأمر قائلاً: «اهْدِ: صيغة

---

(١) المصدر نفسه: ١/٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ١/٧٧.

أمر، ومعناه الدعاء»[1]. وذكر القرطبي معنى الدعاء ولم يذكر الأمر[2].

٢- الأمر للتعجيز:

ويأتي الأمر على سبيل التعجيز بأمر المخاطب على فعل أمر لا يمكن أن يصل إليه مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: من الآية ٣٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «أروني» أمر تعجيزٍ»[3].

وهذا ما ذهب إليه الرازي قائلاً: «أروني» أمر تعجيز للتبيين[4].

٣- الأمر للتهديد:

أي: التخويف وهو أعم من الإنذار؛ لأنَّه إبلاغ مع التخويف ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤]، فقد جَوَّزَ السَّمين الحلبي أن تكون اللام الواردة في قوله: «ليكفروا» هي لام الأمر قائلاً: «قوله: «ليكفروا» يجوز أن تكون لام كَيْ وأن تكون لام الأمر ومعناه التهديد»[5].

وقال ابن جزي: «اللام لام كي وجه التهديد لقوله بعده: «فتمتعوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٢٠٣/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٧/١، وروح البيان: ١٤/١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/١.

(٣) الدر المصون: ٤٧١/٥.

(٤) التفسير الكبير: ٢٩/٢٦.

(٥) الدر المصون: ٣٧٩/٥.

فسوف تعلمون»[1]، وعليه فقد ذكر أكثر العلماء غرض التهديد في الأمر[2]. وذهب الفراء أن الأمر للتوبيخ[3].

٤- الأمر للتعجب:

ويأتي الأمر للتعجب ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أسمع بهم وأبصر» هذا لفظ أمر، ومعناه التعجب»[4].

وهذا ما ذكره النسفي بقوله: «الجمهور على إنَّ لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكنَّ المراد أنَّ إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً وعمياً في الدنيا»[5]، وهذا كما ذكر النسفي رأي أكثر العلماء[6].

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل: ٧٤/٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦١/٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٢٦٢/٥، وأنوار التنزيل: ٣٣٦/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٣٣/١٤، ومدارك التنزيل: ٢٦٥/٣، وتفسير الجلالين: ٥٣٥/١، وتفسير السراج المنير: ١٥٢/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٢٩٣/٣.

(٤) الدر المصون: ٥٠٧/٤.

(٥) مدارك التنزيل: ٣٧/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ١٩/٣، والتفسير الكبير: ١٨٩/٢١، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، وأنوار التنزيل: ١٦/٤، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٦٨/١٣.

٥- الأمر للتوبيخ والتهديد:

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٩]، قال السَّمين الحلبي مُحللاً للآية الكريمة ما نصه: «وقوله: «موتوا» أمر ومعناه الدعاء، وقيل: معناه الخبر أي: إنَّ الأمر كذلك، وقد قال بعضهم: إنَّه لا يجوز أن يكون بمعنى الدعاء؛ لأنَّه لو أمره بأن يدعو عليهم بذلك لماتوا جميعاً على هذه الصفة فإنَّ دعوته لا تُرَدُّ، قد آمن منهم كثيرون بعد هذه الآية، ولا يجوز أن يكونَ بمعنى الخبر؛ لأنَّه لو كان خبراً لوقع على حكم ما أخبرَ ولم يؤمِنْ أحدٌ بعدُ، وإذا انتفى هذان المعنيان فلم يبقَ إلاَّ أن يكون معناه التوبيخ والتهديد، ومثله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: من الآية ٤٠]، «إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت»[١]. وهذا الذي قاله ليس بشيء؛ لأنَّ مَنْ آمن منهم لم يدخل تحت الدعاء إنْ قصد به الدعاء، ولا تحت الخبر إنْ قَصَدَ به الإخبار»[٢].

فقد ذكر الحلبي الأقوال الواردة في الآية الكريمة محللاً كل قول منها وصولاً إلى الرأي الأقرب إلى الصواب وذلك بالاعتماد على سياق الآية الكريمة، هذا يُبين لنا مقدرته العلمية وسعة معرفته.

وهذا رأي أبو حيان كذلك[٣]، وذكر باقي المفسرين أنَّه بمعنى الدعاء[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب (الأدب)، باب (إذا لم تستح فاصنع ما شئت): ٥٧٦٩: ٢٢٦٨/٥.

(٢) الدر المصون: ١٩٨/٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٤/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩٩/٥.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٥٤/٧، والكشاف: ٤٣٥/١، والتفسير الكبير: ١٧٦/٨، ومدارك التتريل: ١٧٥/١، وأنوار التتريل: ٨٥/٢، والوجيز: ٢٢٩/١، وإرشاد العقل السليم: ٧٦/٢.

٦- الأمر للوعيد والتهديد:

ومنه قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقال الشيخ: ولا يتعين ما ذكره المعربون والمفسرون من أن اللام لام (كي) أو لام الصيرورة، بل الظاهر أنَّها لام الأمر، والفعل مجزوم بها، ويؤيد قراءة من سكن اللام والمعنى عليه متمكن، كأنَّه قيل: وكذلك نُصَرِّفُ الآياتِ، ولِيَقُولُوا هم ما يقولون من كونها دَرَسْتَهَا وتعلمتها، أو دَرَسَتْ هي، أي: بَلِيَتْ وقدمت، فإنَّه لا يحتفل بهم، ولا يلتفت إلى قولهم وهو أمر معناه الوعيد والتهديد، وعدم الاكتراث بقولهم، أي: نُصرِّفها وليدْعوا فيها ما شاءُوا، فإنَّه لا اكتراث بدعواهم»[1].

وهذا رأي أبو السعود الذي قال: «وهذا أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم»[2]. وذهب ابن عطية إلى القول بأنَّ الأمر يتضمن التوبيخ والوعيد[3]. وذكر الواحدي أنَّ اللام بمعنى العاقبة.

٧- الأمر في معنى الخبر:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: من الآية ٣٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: فليُلقه في اليم» هذا أمر معناه الخبر»[4].

---

(١) الدر المصون: ١٥٠/٣، وينظر: البحر المحيط: ٢٠١/٤.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٧٠/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩١/٢.

(٤) الدر المصون: ٢٠/٥.

وهذا رأي أغلب العلماء المفسرين[1].

وجاء هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[2].

٨- الأمر في معنى النهي:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «فيكون قد عطف ما هو بمعنى الأمر على نهي»[3].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان[4].

◈ ثانياً: النهي:

وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاءً، قال السكاكي: «للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلاَّ أفاد طلب الترك فحسب»[5]. فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي، ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما يُنهى عنه. والسكاكي يوازن بين أسلوب الأمر، وأسلوب النهي فيرى أنَّ

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤/٥٦، ومعالم التنزيل: ٥/٢٧٢، والكشف والبيان: ٦/٢٤٤، ومدارك التنزيل: ٣/٥٤، والبحر المحيط: ٦/٢٢٦، واللباب في علوم الكتاب: ١٣/٢٣٥، وتفسير السراج المنير: ٢/٣٦٣.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٤/١٨٩، و٤/٤٤٨، و٤/٥٢١.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٣٨٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/٦١٤، والبحر المحيط: ٦/٢٠.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٥٢-١٥٣.

الأسلوبين يشتركان في اعتبار الاستعلاء والأخير، ونقصد بالآخر أنَّ الأمر والنهي يقصدان الآخر فلا يمكن لإنسان أن ينهي نفسه أو يأمرها.

أما وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أنَّ لكل منهما صيغة خاصة به «الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، وأنَّ الأمر لابدَّ من إرادة مأمورة، وأن النهي لابُدَّ فيه من كراهية منهية»(١).

وقد عرف السَّمين الحلبي النهي بأنَّه: «طلب ترك أو كف»(٢)، وذكر في تفسيره بعضاً من المعاني المجازية التي يخرج إليها النهي وهي:

١- النهي للدعاء:

تأتي صيغة النهي للدعاء من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: من الآية ٨]، قال السَّمين الحلبي: «والنهيُ في اللفظ للقلوب، وفي المعنى دعاءٌ لله تعالى، أي: لا تُزِغْ قلوبَنا فَتَزيغَ»(٣).

وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره(٤).

٢- النهي للإلهاب والتهييج:

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «والنهي له ﷺ عن الامتراءِ، ولم يكن ممترياً، وهذا من

---

(١) الطراز: ٢٨٥/٣.

(٢) الدر المصون: ٥٠٨/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٦/٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٠٣/٢، والإتقان: ٢٠٧/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٢/٥.

الإلهاب والتهييج على الثبات على ما هو عليه من الحق، أو لأنَّ المراد به غيره»[1].

وهذا رأي أبو السعود الذي قال: «والخطاب إما للنبي على طريقة الإلهاب والتهييج لزيادة التثبيت والإشعار بأنَّ الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء، وإما لكل من له صلاحية الخطاب»[2]، وهذا رأي أكثر المفسرين[3].

٣- النهي للإباحة:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي في بيان الآية الكريمة مستعيناً بأقوال العلماء ما نصه: «الأول: ويؤول المعنى إلى تقدير ولا تطع منهما آثماً ولا كفوراً. وقال الزمخشري: فإن قلت معنى (أو) ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهياً عن طاعتهما جميعاً. قلت: لو قيل لا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما، وإذا قيل: لا تطع أحدهما؛ علم أنَّ الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعاً أنهى. كما إذا نهى أن يقول لأبويه أفٍّ علم أنه ينهى عن ضربهما عن طريق الأولى. الثاني: أنها بمعنى (لا) أي لا تطع من أثم ولا من كفر. قال مكي: وهو قول الفراء: وهو بمعنى الإباحة التي ذكرنا»[4].

---

(١) الدر المصون: ١٢٠/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٤٦/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٩٥/١، وأنوار التنزيل: ٤٦/٢، والبحر المحيط: ٥٠٢/٢، ولُباب التأويل: ٣٥٩/١، والبحر المديد: ٤٣٥/١.

(٤) الدر المصون: ٤٥/٦، وينظر: معاني القرآن: ١٧٠/٥، والكشاف: ٦٧٥/٤، ومشكل إعراب القرآن: ٧٨٨/٢.

٤- النهي للمبالغة:

ويأتي النهي للمبالغة ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]، قال السَّمين الحلبي: «والنهي في الصورة للحَرَج، والمراد الصادر منه مبالغة في النهي عن ذلك، كأنه قيل: لا تتعاط أسباباً ينشأ عنها حَرَجٌ، وهو من باب (لا أرينك ههنا) النهي متوجه على المتكلم، والمراد به المخاطب، كأنَّه قال: لا تكن بحضرتي فأراك، ومثله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ [طه: من الآية ١٦]»[1].

وهذا ما ذهب إليه البيضاوي[2]، وذهب أبو السعود إلى معنى التنفير والتحذير[3].

◈ ثالثاً: الاستفهام:

والاستفهام بلاغياً: هو طلب العلم بالشيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلبي، قال السكاكي: «والاستفهام طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»[4].

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق، وإذا كان التردد في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: (أقام زيد؟) يكون الاستفهام للتصديق

(١) الدر المصون: ٢٢٩/٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/٣.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٠٩/٣، والبحر المديد: ٤٦١/٢.

(٤) مفتاح العلوم، ص١٤٦.

أي: لوقوع الفعل أما إذا قلنا: (أزيد قام أم عمرو؟) يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أن كل ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور.

وللاستفهام ألفاظ موضوعة له[1] وهي (الهمزة)، و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين)، و(أنَّى)، و(متى)، و(أيَّان).

ويخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ. قال القزويني: «ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[2]. وذكر مفسرنا أنواعاً كثيرة لخروج الاستفهام مجازياً في تفسيره وهي:

١- الاستفهام للتعظيم:

أشار السَّمين الحلبي إلى خروج الاستفهام إلى معنى التعظيم مجازاً، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨]، فقال: «أصحاب الأولى مبتدأ و«ما» استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثانٍ»[3].

وهذا رأي ابن عطية والرازي[4]. وذهب أغلب العلماء إلى أن الاستفهام بمعنى التعجب، قال البيضاوي: «والجملتان الاستفهاميتان خبر انَّ لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين»[5]، وهذا

(١) ينظر: الإيضاح: ١/٢٢٨.

(٢) الإيضاح: ١/٢٣٤.

(٣) الدر المصون: ٦/٢٥٣.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/١٥٨، والتفسير الكبير: ٢٩/١٢٧.

(٥) أنوار التنزيل: ٥/٢٨٤.

رأي البغوي والزمخشري والنسفي وغيرهم[1].

وذهب ابن عادل إلى معنى التفخيم والتعجب[2].

٢- الاستفهام للتعجب أو التعجيب:

أشار مفسرنا إلى هذا النوع من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]، فقال: «استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو أنَّهم نسبوا أخَسَّ الجنسين وما يتطيَّرون منه ويتوارى أحدهم من قومه عند بشارته به إلى ربهم وأحسنَ الجنسين إليهم»[3].

وهذا رأي ابن عادل[4]، وذكر الزمخشري أن الاستفهام للاستهزاء والتهكم والتعجيب[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما أكفره» إمَّا تعجب وإمَّا استفهام تعجيب»[6].

وذهب أغلب العلماء إلى معنى التعجب، ومنهم: أبو السعود، والبغوي

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٨/٧، والكشاف: ٤٥٦/٤، ومدارك التنزيل: ٢٠٦/٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٣٧/٦، ولباب التأويل: ١٥/٧، والبحر المديد: ٤٢٩/٧.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٧٧/١٨.

(٣) الدر المصون: ٥١٥/٥.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٥١/١٦.

(٥) ينظر: الكشاف: ٦٦/٤.

(٦) الدر المصون: ٤٨٠/٦.

والزمخشري[1]، وذكر ابن جزي الكلبي معنى التعجيب[2]، وقال ابن عطية: «ما أكفره: يحتمل معناه التعجب ويحتمل معنى الاستفهام توقيفاً أي: أي شيء أكفره أي: جعله كافراً»[3] وتبعه أبو حيان[4]، وذهب بعضهم إلى معنى التوبيخ[5]، وحمل النسفي والثعالبي الآية على معنى التعجب أو التوبيخ[6].

٣- الاستفهام للتشويق:

ومن هذا النوع ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «هل أتاك» هو استفهام على بابه، ويسميه أهل البيان التشويق»[7].

وهذا رأي أبي حيان قائلاً: «وهذا الاستفهام توقيف، وفائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر»[8]، وذهب الشربيني إلى معنى التشويق[9]، في حين ذهب أبو السعود إلى معنى التعجب والتشويق[10].

---

(١) ينظر: معاني القرآن الفراء: ١٨٥/٥، والكشاف: ٧٠٣/٤، وإرشاد العقل السليم: ١١٠/٩، ومعالم التتريل: ٣٣٧/٨، والكشف والبيان: ١٣٢/١٠.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التتريل: ٢٨٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٤١١/٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٢٠/٨.

(٥) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٥٤/٤، والبحر المديد: ٣٦٨/٨.

(٦) ينظر: مدارك التتريل: ٣١٧/٤، والجواهر الحسان: ٣٨٨/٤.

(٧) الدر المصون: ٥١٢/٦.

(٨) البحر المحيط: ٤٥٧/٨.

(٩) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٦١/٣٠.

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤٨/٩، والبحر المديد: ٤٤٨/٨.

٤- الاستفهام الإنكاري:

ذكر مفسرنا هذا الغرض البلاغي في تفسيره، وعرض له الكثير من الأمثلة، منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وما لنا ألاَّ نقاتل»... و«ما» في محل رفع بالابتداء، ومعناها الاستفهامُ، وهو استفهام إنكارٍ»[١].

وهذا رأي العكبري[٢] وأبي حيان الذي قال: «استفهام في اللفظ، وإنكار في المعنى»[٣].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: من الآية ٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أتُمِدُّونني» استفهامُ إنكارٍ»[٤] وذكر الصنعائي أن الاستفهام للتوبيخ والإنكار[٥].

وقد أكثر مفسرنا من ذكر هذا النوع في تفسيره[٦].

وجاء الاستفهام الإنكاري عند السَّمين الحلبي على ثلاثة أنواع:

أ- الاستفهام الإنكاري التوبيخي:

والتوبيخ يأتي بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ

---

(١) الدر المصون: ٥٩٩/١.

(٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ١٠٣/١.

(٣) البحر المحيط: ٢٦٤/٢.

(٤) الدر المصون: ٣١٣/٥.

(٥) ينظر: البحر المديد: ٣٣٢/٥.

(٦) ينظر: الكشاف: ٦٢٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٧/٢، وأنوار التنزيل: ٤٤٧/٣، وروح المعاني: ٨١/١٥، وزهرة التفاسير: ٤٣٨٧/١.

رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ [الإسراء: من الآية ٤٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أفأصفاكم» ألف «أصْفَى» عن واو، لأنَّه من صَفًّا يَصْفُوا صَفْواً، وهو استفهام إنكار وتوبيخ»[1].

وهذا رأي أبي حيان وذكره ابن عادل[2]، وذهب ابن جزي إلى معنى التوبيخ فقط[3]، في حين ذهب باقي العلماء إلى معنى الإنكار[4].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [الأنعام: من الآية ٧١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أَنَدْعُو» استفهام توبيخ وإنكار»[5].

وذهب أبو حيان إلى غرض الإنكار[6]، وذكر العكبري والشوكاني غرض التوبيخ[7].

وذكر مفسرنا هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[8].

---

(١) الدر المصون: ٣٩٣/٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٦/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩١/١٢.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٨/٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٦٢٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٧/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٧٧/٥، وأنوار التنزيل: ٤٤٧/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٤١/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٧٣/٥.

(٥) الدر المصون: ٩٣/٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ١٦١/٤، وأيسر التفاسير: ٧٨/٢، والتحرير والتنوير: ١٦٠/٦.

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥٠٧/١، وفتح القدير: ١٨٨/٢.

(٨) ينظر: الدر المصون: ٣٨٩/١-٣٩٠، ٢٦٠/٣، ٥٤٥/٥.

ب- الاستفهام الإنكاري التوبيخي التعجبي:

وجاء هذا النوع في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «أكفرتم» الهمزَةُ فيه للإنكارِ عليهم والتوبيخِ لهم والتعجيب من حالهم»[١].

وذكر البيضاوي أنَّ الهمزة للتوبيخ والتعجيب قائلاً: «أي: فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون وأهل الكتاب»[٢]، وتبعه أبو السعود[٣].

ج- الاستفهام الإنكاري التقريعي:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ [البقرة: من الآية ٨٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «اتخذتم» الهمزةُ للاستفهام، ومعناهُ الإنكارُ والتقريع»[٤].

ولم يحدد أبو حيان نوع الاستفهام قائلاً: «... وأمر نبيه ﷺ بأن يرد عليهم بهذا الاستفهام الذي يدل على الإنكار ما قالوه»[٥].

---

(١) الدر المصون: ١٨٣/٢.

(٢) أنوار التنزيل: ٧٧/٢.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦٩/٢.

(٤) الدر المصون: ٢٧٢/١.

(٥) البحر المحيط: ٤٤٥/١.

٥- الاستفهام التقريري:

وقف السَّمين الحلبي في تفسيره على آيات عديدة لهذا الغرض البلاغي، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: «ألم تعلم»: هذا استفهام معناه التقرير»[١].

وهذا التوجيه موافق لما ذكره بعض المفسرين[٢]، قال أبو حيان: «هذا أيضاً استفهام دخل على النفي فهو تقرير، فليس له معادل، لأنَّ التقرير معناه: الإيجاب، أي: قد علمت أيها المخاطب أنَّ الله له سلطان السماوات والأرض والاستيلاء عليهما، فهو يملك أموركم ويدبرها، ويجريها على ما يختاره لكم من النسخ وغيره»[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «والهمزةُ هنا للتقرير، لأنَّ الاستفهامَ إذا دخل على النفي قرَّره كقوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وأنْدى العَامِلينَ بُطُونَ رَاحِ[٤]

المعنى: أنتم خيرُ»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: النكت والعيون: ١٧٢/١، والكشف والبيان: ٢٥٦/١، وإرشاد العقل السليم: ١٤٣/١.

(٣) البحر المحيط: ٥١٥/١.

(٤) البيت لجرير، وهو في ديوانه، ص٨٩.

(٥) الدر المصون: ٦٣٠/١.

وهذا مما ذكره ابن عادل وابن عاشور[1].

وأمثلته متعددة[2].

٦- الاستفهام للنفي:

تحدث السَّمين الحلبي عن الغرض الذي من أجله سيق لفظ الاستفهام وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ومن أحسن» مبتدأ وخبر، وهذا استفهام معناه النفي، أي: لا أحد»[3].

وهذا رأي أبي حيان الذي قال: «هذا استفهام ومعناه النفي أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة»[4]. وذهب النيسابوري إلى معنى الإنكار[5]، وأبو السعود إلى معنى الإنكار والنفي[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «هل يهلك» هذا استفهام بمعنى النفي، ولذلك دخلت «إلاَّ» وهو استثناء مفرغ، والتقدير: ما يهلك إلاَّ القوم الظالمون»[7].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٦٥/٤، والتحرير والتنوير: ٥١١/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٥٩٢/١، و٤١٦/٣، و٣٦٩/٥.

(٣) الدر المصون: ٣٨٨/١.

(٤) البحر المحيط: ٥٨٤/١.

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤١٥/١.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٦٨/١.

(٧) الدر المصون: ٦٧/٣.

وهذا مما ذكره أبو حيان وابن عادل وأبو السعود[1]، وذهب الشوكاني إلى غرض التقرير قائلاً: «الاستفهام للتقرير: أي: ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلاَّ القوم الظالمون»[2] وهذا رأي العكبري[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ومن يغفر» استفهامُ معناه النفي، ولذلك وقع بعده الاستثناء»[4].

وهذا رأي الزجاج، والبيضاوي[5].

٧- الاستفهام للتحريض:

تناول السَّمين الحلبي في تفسيره هذا الغرض البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: من الآية ٧٦]، فقال: «قوله تعالى: «وما لكم لا تقاتلون»: هذا استفهام يراد به التحريض والأمر بالجهاد»[6].

وذكر النسفي معنى النفي قائلاً: «وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء»[7].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٣٦/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٥٤/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٣٥/٣.

(٢) فتح القدير: ١٧٠/٢.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٩٧/١.

(٤) الدر المصون: ٢١١/٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن: ١٩٩/١، وأنوار التنزيل: ٩٣/٢.

(٦) الدر المصون: ٣٩٤/٢.

(٧) مدارك التنزيل: ٢٣٣/١.

٨- الاستفهام للتوبيخ:

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الاستفهام، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]، قال مُرجحاً: «قوله: «هل علمتم» يجوز أن يكون استفهاماً للتوبيخ، وهو الأظهر»[١].

وذهب الرازي إلى غرض التعظيم في الاستفهام[٢]، أما القرطبي فذكر غرض التذكير والتوبيخ للاستفهام[٣].

ومنه مما جاء في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ [الإسراء: من الآية ٦٨]، قال: «قوله: «أفأمنتم» استفهام توبيخ وتقريع»[٤]. فجمع بين التوبيخ والتقريع.

وذكر الزمخشري غرض الإنكار[٥]، وتبعه أبو حيان والبيضاوي والشوكاني[٦].

٩- الاستفهام للتسوية:

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا الغرض البلاغي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، فقال: «والهمزة في «أأنذرهم» الأصل فيه الاستفهام وهو هنا

---

(١) الدر المصون: ٤/٢١١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٤/١٣١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/٢٥٥.

(٤) الدر المصون: ٤/٤٠٦.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢/٦٣٤.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٦/٥٧، وأنوار التنزيل: ٢/٤٥٧، وفتح القدير: ٣/٣٤٩.

غير مراد؛ إذ المراد التسوية»[1].

وهذا ما ذكره العلماء الذين سبقوه ومنهم الزمخشري الذي قال: «والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما الاستفهام»[2]، وتبعه النسفي وأبو حيان[3].

١٠- الاستفهام للأمر:

يخرج الاستفهام مجازياً إلى غرض الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أأسلمتُم» صورته استفهام ومعناه الأمر، أي: أسْلِموا، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٩١]، أي: انتهوا»[4].

وهذا رأي أكثر المفسرين[5].

◈ رابعاً: النداء:

عرَّف البلاغيون النداء بأنَّه «طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديراً»[6].

---

(١) الدر المصون: ١٠٣/١.

(٢) الكشاف: ٨٧/١.

(٣) ينظر: مدارك التتريل: ١٥/١، والبحر المحيط: ١٧١/١.

(٤) الدر المصون: ٥١/٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٢/١، وجامع البيان: ٢٨١/٦، ومعالم التتريل: ٣٠/٢، والمحرر الوجيز: ٤١٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢٤٩/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٥/٤، ولُباب التأويل: ٣٣١/١، والبحر المحيط: ٤٢٩/٢، والوجيز: ٢٠٣/١، والإتقان: ٢٠٢/٣، وأيسر التفاسير: ٢٩٧/١.

(٦) ينظر: الإيضاح: ٢٤٥/١، وتهذيب السعد: ٤٤/٣، والإتقان: ٢٠٩/٣.

وللنداء أدوات عدة هي: (الهمزة)، و(آ)، و(أيا)، و(أي)، و(آي)، و(هيا)، و(وا)، و(يا). وبعض هذه الأدوات للقريب وبعضها للبعيد، وقد أشار سيبويه إلى ذلك[1].

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون «وقد تستعمل صيغته في غير معناه، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم (يا مظلوم) والاختصاص في قولهم: أنا أفعل كذا أيها الرجل. ونحن نفعل كذا أيها القوم، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة، أي: متخصِّصاً من بين الرجال، ومتخصصين بين الأقوام والعصائب»[2].

وتناول السَّمين الحلبي المعاني المجازية للنداء في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية لأسلوب النداء ومنها:

١- النداء للتنبيه:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: من الآية ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«يا» فيها قولان: أحدهما: وهو قول الفارسي أنَّها لمجرد التنبيه فلا يُقدّر منادى محذوف، ولذلك باشرت الحرف. والثاني: أن المنادى محذوف تقديره: يا هؤلاء ليتني وهذا الخلاف جار فيها إذا باشرت حرفاً أو فعلاً كقراءة الكسائي: «ألا يا اسجدوا»[3] [النحل: من الآية ٢٥]، وقوله:

---

(١) ينظر: الكتاب: ٣٢٥/١١، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٢٧/٣.

(٢) الإيضاح: ٢٤٥/١.

(٣) «ألا يَسْجُدُوا» كلهم شدد اللام في «ألا يَسْجُدُوا» غير الكسائي فإنه خففها و لم يجعل فيها أن ووقف على «ألا» ثم ابتداء «ألاَّ يَسْجُدُوا». ينظر: السبعة، ص٤٨.

ألا يا اسقياني قبل غارةِ سنجال ....»[1][2]

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين والعلماء[3]. قال البيضاوي: «للتنبيه على ضعف عقيدتهم، وأنَّ قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنَّما يريد أن يكون معكم لمجرد المال»[4].

٢- النداء للاختصاص:

يخرج النداء مجازياً إلى غرض الاختصاص وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أهل البيت» في نصبه وجهان: أحدهما: أنَّه منادى. والثاني: أنَّه منصوب على المدح. وقيل على الاختصاص»[5].

وهذا رأي أكثر المفسرين[6].

وقال النحاس: «أهل البيت منصوب على النداء، ويسميه سيبويه

---

(١) البيت للشماخ وهو في ديوانه، ص٤٥٦، وعجزه: وقبل مَنايا فادياتٍ وآجالِ.

(٢) الدر المصون: ٣٩٢/٢.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٣٧٢/١، والبحر المحيط: ٣٠٥/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٥٣/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٠١/٢.

(٤) أنوار التتريل: ٢١٧/٢.

(٥) الدر المصون: ١١٥/٤.

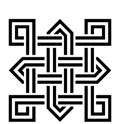
(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٠٦/٣، ومدارك التتريل: ١٦٤/٢، والبحر المحيط: ٢٤٥/٥، وأنوار التتريل: ٣٤٦/٣، وتفسير السراج المنير: ٥٧/٢، والجواهر الحسان: ٢١٢/٢، والإتقان: ٢٠٩/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٦/٤، وفتح القدير: ٧٣٨/٢، وروح المعاني: ١٠١/١٢، والبحر المديد: ٣١١/٣.

تخصيصاً»[1]، وقال العكبري: «قوله تعالى: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ تقديره يا أهل البيت أو يكون منصوباً على التعظيم والتخصيص أي: أعني»[2].

٣- النداء للتفجع أو التهويل:

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، قائلاً. قوله: «يا حسرتا» ومعنى النداء هنا على المجاز وهو التفجُّع عليهم كأنَّه قيل هذا أوانك فاحضري[3].

وهذا رأي ابن جزي الذي قال: «نداء للحسر: كأنَّه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك، وهذا التفجع عليهم... في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل»[4].



(١) معاني القرآن: ١٠٧/٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٧٠٨/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٤٧/٤، و٤٨١/٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٣/٣.

المبحث الثاني

التقديم والتأخير

التقديم من «قدَّم» أي: وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك[١].

ويعد أسلوب التقديم والتأخير من أبرز وأهم الظواهر البلاغية في لغة العرب، إذ إنَّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»[٢]، إنَّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه أول من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام[٣]. ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللغويون سيبويه في آرائه كالمبرد وابن جني الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء والأخفش في نصهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللفظ والتأخير في المعنى إلى أن وصل البحث إلى الجرجاني الذي درس الظاهرة -مفيداً من سيبويه- دراسة دقيقة مفصَّلة وأعطى فيها لكل حالة خصوصيتها المعنوية، وقدَّم دراسته على وفق منهج علمي دقيق فقال فيه: «باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرّف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً

---

(١) لسان العرب: مادة (قدم) و(أخر).

(٢) المزهر: ١/٣٣٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢/١٢٧-١٢٨.

يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنَّ راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان»[1]. وتتابعت الدراسات البلاغية للتقديم والتأخير فكان الزركشي والسيوطي في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدَّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

◈ أولاً: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

١- تقديم الخبر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروه في غير ما موضع، فقالوا: إنَّ تقديم الأعرف هو الأصل ويقصدون هنا المبتدأ، ويتأخر الأقل تعريفاً ليكون خبراً إلاَّ أنَّ هذه القاعدة ليست ثابتة[2]. فقد يتقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام، وقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «فعلى أبصارهم خبر مقدم، وغشاوة مبتدأ مؤخر»[3].

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[4].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ﴾ [النساء: من الآية ١١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ولأبويه

(١) دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/٨٨، والمقتضب: ٤/١٢٧، والمغني: ٢/٥٨٨.

(٣) الدر المصون: ١/١٠٦.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١/٣٢١، وإرشاد العقل السليم: ١/٣٨، والتحرير والتنوير: ١/٣٥٤.

لكل واحد منهما السدسُ» «السدس» مبتدأ و«لأبويه» خبر مقدم»[1].

وهذا الرأي نقله ابن عادل الدمشقي من السَّمين الحلبي[2]، ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أفسحر» خبر مقدم و«هذا» مبتدأ مؤخر ودخلت الفاء. قال الزمخشري يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا؟ يريد أهذا العذاب أيضاً سحر؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى»[3]. وذكر أبو حيان والبيضاوي وأبو السعود غرض هذا التقديم وهو الإنكار والتوبيخ[4]، وذهب القرطبي إلى وجود الاستفهام في الآية الكريمة قائلاً: «استفهام معناه التوبيخ والتقريع، أي يقال لهم: (أفسحر هذا) الذي ترون الآن بأعينكم»[5]، فهو لا يذكر التقديم في الآية، وهذا ما ذهب إليه العكبري والشوكاني[6]، وقال أبو عبيدة: ««أفسحر هذا» ليس باستفهام بل هو توعد»[7].

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[8].

---

(١) الدر المصون: ٣٢٠/٢.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢١٤/٦.

(٣) الدر المصون: ١٩٧/٦، وينظر: الكشاف: ٤١٢/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٤٥/٨، وأنوار التنزيل: ٢٤٥/٥، وإرشاد العقل السليم: ١٤٧/٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/١٧.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٨٢/٢، وفتح القدير: ١٣٥/٥.

(٧) مجاز القرآن: ١١٧/١.

(٨) ينظر: الدر المصون: ١٠٩/١، و٢٩٢/٦، و٣٢٥/٦، و٥١٦/٦، و٥٤٦/٦.

٢- تقديم الخبر المقصور:

ويتقدم الخبر المقصور في بعض الآيات القرآنية ومثله مما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ ﴾ [المائدة: من الآية ٩٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «إلاَّ البلاغ»: في رفعه وجهان: **أحدهما:** أنَّه فاعل بالجارِّ قبله لاعتماده على النفي، أي: ما استقرَّ على الرسول إلاَّ البلاغ. **والثاني:** أنَّه مبتدأ، وخبرهُ الجارُّ قبله، وعلى التقديرين فالاستثناء مفرغ»[(١)]. فالبلاغ هو المبتدأ وشبه الجملة على الرسول الخبر، وأفاد هذا الأسلوب اختصاص الرسول ﷺ بالبلاغ.

٣- تقديم خبر كان عليها:

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من التقديم في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٧]، وتقدم الخبر لإظهار كيفية عاقبة المكذبين، فالمهم في هذه الآية هو مظهر العاقبة، فتقدم لأهميته وتقدَّم تنبيهاً وموعظة، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كيف كان عاقبة» «كيف» خبرٌ مقدم واجبُ التقديم، لتضمُّنِهِ معنى الاستفهامِ»[(٢)].

وقال الزمخشري: «هذا بيان للناس وإيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثَّهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم، والاعتبار بما يعانون من آثار هلاكهم، وهدًى وموعظةً للمتقين يعني أنَّه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة»[(٣)]، وتبعه أبو حيان والبيضاوي والبقاعي[(٤)].

---

(١) الدر المصون: ٦١٥/٢.

(٢) الدر المصون: ٢١٤/٢.

(٣) الكشاف: ٤٦٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦١/٣، وأنوار التنزيل: ١٨١/١، ونظم الدر: ١٥٩/٢.

ومثاله أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كيف كان عاقبة». «كيف» خبر لـــ«كان» مقدم عليها واجب التقديم، لأنَّ له صدر الكلام و«عاقبة» اسمها، وهذه الجملة الاستفهامية في محل نصب على إسقاط حرف الجر، إذ التقدير: فانظر إلى كذا»[1].

وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين[2]، قال أبو السعود: «و(كيف) خبر (كان) قُدِّم على اسمها لاقتضائه الصدارة»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَهُمۡ كَانُوٓاْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٧]، قال السَّمين الحلبي: ««أنفسهم» مفعول لـــ«يظلمون»، وفيه دليل على تقديم خبر «كان» عليها؛ لأنَّ تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل غالباً. وقلت: غالباً، لأن ثَمَّ مواضع يمتنع فيها ذلك نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩]، فـــ«اليتيم» مفعول بـــ«تقهر»، ولا يجوز تقديم «تقهر» على جازمه»[4].

وهذا المعنى ذكره ابن عادل الدمشقي[5]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وأمثلته متعددة[6].

---

(١) الدر المصون: ٣/٣١٣.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن:١/٥٨٥، واللباب في علوم الكتـــاب: ٩/٢٤٥، وروح المعاني: ٩/١٨.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١/٥٨٥.

(٤) الدر المصون: ٣/٣٧٤.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٩/٣٩٣.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٣/٤٤٥، و٣/٤٨٠.

٤- تقديم معمول خبر (ليس) عليها:

وتَقدَّم معمول خبر ليس عليها في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: من الآية ٨]. وفي هذه المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين؛ إذ ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها، وإليه يذهب أبو العباس المبرد من البصريين، وزعم بعضهم أنَّه مذهب سيبويه، وليس بصحيح والصحيح أنه ليس في ذلك نص، وذهب البصريون إلى أنَّه يجوز تقديم خبر ليس عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها[١]. وهذا ما ذكره السَّمين الحلبي قائلاً: «قوله: «يوم يأتيهم» منصوب بـ«مصروفاً» الذي هو خبر «ليس» وقد استدل به جمهور البصريين على جواز تقديم خبر ليس عليها. ووجه ذلك أنَّ تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل. و«يوم» منصوب بـ«مصروفاً» وقد تقدم على «ليس» فلا يجوز تقديم الخبر بطريق الأولى، لأنَّه إذا تقدم الفرع فأولى أن يتقدم الأصل»[٢].

وذهب الزمخشري إلى تحليل الآية نحوياً فقال: ««يوم يأتيهم» منصوب بخبر ليس ويستدل به من استجيز تقديم خبر (ليس) على ليس، وذلك أنَّه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها، إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلاَّ حيث يقع العامل»[٣]، وتبعه أبو حيان[٤].

---

(١) ينظر: الإنصاف: ١/١٦٠، وشرح المفصل: ٧/١١٢، وشرح التصريح على التوضيح: ١/١٨٨.

(٢) الدر المصون: ٤/٨١.

(٣) الكشاف: ٢/٢٦٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/٢٠٦.

◈ ثانياً: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

إنَّ نظرية العامل في النحو العربي تقتضي أنْ يتلازم العامل ومعموله لما بينهما من علاقة لا يكون أحدهما إلاَّ بالآخر، ولكن قد تقتضي الضرورة البلاغية أن يكون هناك تقديم وتأخير لأغراض بلاغية مختلفة كتقديم المفعول به على الفاعل أو الفعل.

١- تقديم المفعول به على فعله:

ذكر سيبويه في كتابه أنَّ المفعول به والفاعل يقدَّمان للاهتمام والعناية[1]. وقد يقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فتعرَّض النحاة والبلاغيون لهذا التقديم ذاكرين أهم أغراضه البلاغية.

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذه المواضع ومنها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما ننسخ» في (ما) قولان: أحدهما: -وهو الظاهر- أنَّها مفعول مقدَّم للنسخ وهي شرطية جازمة له، والتقدير: أي شيء ننسخ، مثل قوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: من الآية ١١٠]، والثاني: أنَّها شرطية أيضاً جازمة للنسخ، ولكنها واقعة موقع المصدر و«من آية» هو المفعول به والتقدير: أي نسخ ننسخ آية قاله أبو البقاء وغيره»[2]، فالسَّمين الحلبي رجَّحَ الرأي الأول وهو تقديم المفعول به على فعله.

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) الكتاب: ١/ ٣٤.

(٢) الدر المصون: ١/ ٣٣٤، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/ ١٠٢، والبحر المحيط: ١/ ٥١٣.

ومن تقديم المفعول مما جاء في قوله تعـالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٣]، فقد قدَّم المفعول على فعله، قال السَّمين الحلبي: «... وقَدَّم المفعول الذي هو «غير» على فِعْلِه؛ لأنَّه أهمُّ من حيثُ إنَّ الإنكارَ الذي هو معنى الهمزة متوجهٌ إلى المعبودِ بالباطل، هذا كلام الزمخشري»[1].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[2]، قال البقاعي: «... وأورد بأنَّ تقديم (غير) يُفهِم أنَّ الإنكار منحط على طلبهم اختصاصاً لغير دين الله، وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى، وأجيب بأنَّ تقديمه الاهتمام بشأنه في الإنكار والاختصاص متأخر مراعاة عن نكتة غيره»[3].

ومن تقديم المفعول به على فعله لغرض الاختصاص قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ تقديم المفعول يفيد الاختصاص»[4].

وهذا مما ذهب إليه ابن عادل وأبو السعود[5]، والظاهر من كلام الزمخشري أن التقديم يفيد الحصر، وإن لم يصرح بذلك قائلاً: «ثم لا تصلوه

---

(١) الدر المصون: ١٥٧/٢، وينظر: الكشاف: ٤٠٧/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٠٧/٨، ومدارك التنزيل: ١٦٤/١، وأنوار التنزيل: ٥٩/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٠٠/١، وتفسير السراج المنير: ١٨٧/١، وإرشاد العقل السليم: ٥٤/٢.

(٣) نظم الدرر: ١٢٠/٢.

(٤) الدر المصون: ٣١٧/٦.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٣٦/١٩، وإرشاد العقل السليم: ٢٦/٩.

إلاَّ الجحيم»[1]، وتبعه النسفي والآلوسي[2].

◈ التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق:

إنَّ سياق القرآن الكريم سياق معجز، في مفرداته وترابط آياته، فكلُّ كلمةٍ تستدعي الأخرى لترتبط بها وتشكِّل بياناً لا يمكن فصله، أو وضع كلمة بدل كلمة، والتقديم والتأخير في أسلوب القرآن الكريم كان أداة فعَّالة لصنع هذا الأسلوب المعجز، فكل كلمة قُدِّمت لسبب وأخرت أخرى بسبب.

وهذا النوع من التقديم والتأخير ذكره الأقدمون في كتبهم كالزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان وذكر تحت عنوان (ما قدِّم والمعنى عليه)[3].

وسأورد ما وجدته من أساليب بلاغية لهذا النوع في تفسير الدر المصون للسَّمين الحلبي الذي كان تفسيره زاخراً به.

١- التقديم للاهتمام:

ورد هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، قال السَّمين الحلبي: «و«بالآخرة» متعلق بيوقنون و«يوقنون» خبر عن «هم» وقدم المجرور للاهتمام به»[4].

وقال أبو حيان: «كما أنَّ التقديم للفعل مشعر بالاهتمام المحكوم به»[5].

---

(١) الكشاف: ٤/٦٠٨.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ٤/٢٧٦، وروح المعاني: ٢٩/٤٩.

(٣) ينظر: البرهان، ص٧٧٤، والإتقان: ٢/٦٧١.

(٤) الدر المصون: ١/١٠٠.

(٥) البحر المحيط: ١/١٦٨.

ومثاله أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقُدِّم المجرورُ على المفعول به اهتماماً بذكر المحلِّ قبل ذِكْرِ الحالِّ»[١].

وهذا رأي أبي حيان قائلاً: «وقدم في قلوب: وهو مجرور على المفعول للاهتمام بالمحل الملقى فيه قبل ذكر الملقى»[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: من الآية ١٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وفي النار هم خالدون» هذه جملة مستأنفة، و«في النار» متعلقٌ بالخبر، وقُدِّم للاهتمام به، ولأجل الفاصلة. وقال أبو البقاء: أي: وهم خالدون في النار»[٣].

وهذا ما ذكره أبو السعود والآلوسي[٤]، وذكر الرازي غرض الحصر في هذا التقديم قائلاً: ««وفي النار هم خالدون» يفيد الحصر أي: هم فيها خالدون لا غيرهم»[٥] وتبعه النيسابوري والشربيني[٦]، وذكر الشوكاني غرض التأكيد[٧].

وأمثلته متعددة[٨].

---

(١) الدر المصون: ٢/٢٣١.

(٢) البحر المحيط: ٣/٨٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٥٩٤.

(٣) الدر المصون: ٣/٤٥٣، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/٦٣٩.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٤/٥٠، وروح المعاني: ١٠/٩٥.

(٥) التفسير الكبير: ١٦/٨.

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٤٤٢، وتفسير السراج المنير: ١/٤٦٩.

(٧) ينظر: فتح القدير: ٢/٤٩٩.

(٨) ينظر: الدر المصون: ١/٥٧٣، و٢/١٥٧، و٥/٥٠٨، ٦/٥٨٩.

٢- التقديم للعناية:

وجاء هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «والخبر جارٌّ ومجرور بحرف «على» الدالِّ على الاستعلاء المجازي في الوجوب وقُدِّمَ الخبرُ اعتناءً به»[١].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

٣- التقديم للاختصاص:

أشار مفسرنا إلى هذا النوع من التقديم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «آمنا به وعليه توكلنا» أخَّر متعلق الإيمان، وقدَّم تعلق التوكل، وإن التقديم يفيد الاختصاص»[٢].

وهذا ما ذكره الزمخشري والقرطبي وابن عادل[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «علينا»... وقال الزمخشري: التقديم للاختصاص أي: لا يتيسر ذلك إلاَّ على الله وحده»[٤].

---

(١) الدر المصون: ٥٧٣/١.

(٢) الدر المصون: ٣٤٨/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٨٨/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢١/١٨، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٩/١٩.

(٤) الدر المصون: ١٨٢/٦، وينظر: الكشاف: ٣٩٦/٤.

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[1]، قال أبو حيان: «تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني لا يتيسر مثل ذلك اليوم العظيم إلاَّ على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن»[2].

٤- التقديم للترتيب:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «وبئس مثوى الظالمين» المخصوص بالذمِّ محذوف أي: مثواهم، أو النار. والمَثْوى: مَفْعَل من ثَوَيْتُ أي: أقَمْتُ، فلامه ياء، وقُدِّم المأوى -وهو المكان الذي يَأوي إليه الإنسان- على المَثْوى -وهو مكانُ الإقامة، لأنَّه على الترتيبِ الوجودي يأوي ثم يَثْوي، ولا يلزم من المأوى الإقامةُ، بخلافِ عَكْسِه»[3].

وهذا الرأي ذكره ابن عادل الدمشقي[4]، ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

٥- التقديم لرعاية الفواصل:

وقد ذكر السَّمين الحلبي أن التقديم يأتي لرعاية الفواصل ورؤوس الآي وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥]،

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٤/٢٨، ومدارك التنزيل: ١٧٥/٤، وأنوار التنزيل: ٢٣٢/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٥٤/١٨، وتفسير السراج المنير: ١٥٨/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٣٥/٨، وروح البيان: ١٦٤/١٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٦.

(٢) البحر المحيط: ١٢٩/٨.

(٣) الدر المصون: ٢٣٢/٢.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٩٦/٥.

قال السَّمين الحلبي: «"هم" مبتدأ، و"خالدون" خبرُه، و"فيها" متعلقٌ به، وقُدِّم ليوافقَ رؤوسَ الآي»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي فهي من انفرادات السَّمين الحلبي.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «والتوبة: الرجوعُ، ومعنى وَصْفِ اللهِ تعالى بذلك أنَّه عبارةٌ عن العطف على عبادِه وإنقاذِهم من العذابِ، ووصفُ العبدِ بها ظاهرٌ لأنه يَرْجع عن المعصيةِ إلى الطاعة، والتَّوابُ الرحيمُ صفتا مبالغةٍ، ولا يختصَّان بالباري تعالى. قال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة، من الآية ٢٢٢]، ولا يُطلقُ عليه "تائب" وإن صُرِّحَ بفعله مسنداً إليه تعالى، وقُدِّم الثوابُ على الرحيم لمناسبةِ "فتاب عليه" ولأنه موافق لخَتْم الفواصل بالرحيم»[2].

وهذا ما ذكره ابن عادل[3]، وقال الآلوسي: «وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٩]، قال السَّمين الحلبي: «والباء في "بِهَا"

(١) الدر المصون: ١/١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٩٦.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١/٥٧٧.

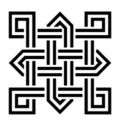
(٤) روح المعاني: ١/٢٣٨.

متعلقة بخبر «لَيْسَ» وقُدِّم على عاملها للفواصل»[1].

ولم يذكر الزمخشري التقديم وإنَّما اكتفى بتفسير الآية[2]، وهذا ما عليه العكبري وأبو حيان والنسفي وغيرهم[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من الذين آمنوا» متعلق بـ«يضحكون» أي: من أجلهم، وقدم لأجل الفواصل»[4].

وهذا ما ذكره ابن عادل[5] ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي. وأمثلته متعددة[6].



(١) الدر المصون: ١١٧/٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٨٣/٣.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥١٧/١، والبحر المحيط: ١٧٩/٤، ومدارك التنزيل: ٣٣٣/١، وروح البيان: ٤٨٣/٣.

(٤) الدر المصون: ٤٩٥/٦.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٢٣/٢٠.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٢٩٥/١، ٥٧٨/١، ٦٧١/١، ٥٧٧/٢، ٩٤/٤، ٦٠/٦.

المبحث الثالث

التعريف والتنكير

المعرفة ما دلَّ على شيءٍ بعينه[1]. وأقسام المعرفة هي: الإضمار، والعلمية، والموصولية، والإشارة، واللام، والإضافة.

ويدخل التعريف على المسند إليه؛ لأنَّ الأصل فيه أن يكون معرفة؛ لأنَّه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأنَّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ومتى كان أقرب كانت أضعف[2].

أما تعريف المسند فلإفادة السامع إما حكماً على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له، وأما لازم حكم بين أمرين[3].

وقد تناول مفسرنا السَّمين الحلبي أنواع التعريف في تفسيره.

أولاً: التعريف بالألف واللام: يعرف المسند إليه بالألف واللام لغرضين:

أولهما: الإشارة إلى فرد من أفراد الحقيقة، معهود بين المتكلم والمخاطب، وتسمى اللام عندئذٍ لام العهد الخارجي.

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التعريف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ** ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فلفظ «الذكر» مسند إليه، وقد عرف بـــ«ال»

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٢/٢.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١١/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧/٢.

إشارة إلى العهد الذي لم يصرح بلفظه، وإنَّما دل عليه قوله: «ما في بطني محرراً»، قال السَّمين الحلبي: «والألف واللام في «الذَّكَر» يُحْتَمل أن تكون للعهد، والمعنى: ليس الذكرُ الذي طلبَتْ كالأنثى التي وُهِبَتْ لها. قال الزمخشري: فإنْ قلت: فما معنى قولها: «وليس الذكر كالأنثى»؟ قلت: هو بيانٌ لـــ«ما» في قوله: «والله أعلم بما وضعت» من التعظيم للموضوع، والرفع منه ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وُهِبت لها»[1]، وسمى الدكتور بسيوني هذا النوع بـــ(لام العهد الخارجي الكنائي)[2].

وحمل مفسرنا الألف واللام في الآية نفسها للجنس أيضاً قائلاً: «والألفُ واللام فيهما للعهد وأن تكون للجنس على أن مرادها أن الذكر ليس كالأنثى في الفَضْل والمزيَّة؛ إذ هو صالح لخدمةِ المُتعبدات وللتحرير ولمخالطة الأجانب بخلاف الأنثى»[3].

ثانياً: التعريف بلام الاستغراق: وهي التي يراد بمدخولها جميع الأفراد المندرجة تحت الحقيقة عند قيام القرينة الدالة على ذلك، وقد سميت لام الاستغراق لاستيعابها جميع الأفراد[4]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]، ذكر السَّمين الحلبي معاني بليغة وأساليب بديعة لهذه السورة الكريمة ومنها ما قاله: «تعريفه بأل الجنسية الدالة على الاستغراق»[5].

---

(١) الدر المصون: ٧٤/٢، وينظر: الكشاف: ٣٨٤/١.

(٢) علم المعاني، ص١٢٩.

(٣) الدر المصون: ٧٤/٢.

(٤) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص١٣١.

(٥) الدر المصون: ٥٧٨/٦.

وهذا ما نقله ابن عادل والشربيني[1].

ثالثاً: التعريف بالإضافة: ومعناه أن يضاف المسند إليه إلى ما بعده فيؤدي أغراضاً بلاغية[2]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]، قال السَّمين الحلبي: «جره بحرف القسم أيضاً مع أنه تعرف بالإضافة وهو امتداد الشمس وامتداد النهار»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه: ٥٦]، قال السَّمين الحلبي: «والإضافة قائمة مقام التعريف العهدي أي: الآيات المعروفة كالعصى واليد ونحوهما»[4].

وهذا قريب من رأي الزمخشري الذي قال: «قوله تعالى: «كلها فكذب» وجهان، أحدهما: أن يحذي بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام أو قيل الآيات كلها، أعني أنها كانت لا تعطي إلاَّ تعريفاً للعهد، والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام: العصا، واليد... والثاني: أن يكون موسى قد أراه آياته وعددها عليه...»[5].

◈ **التنكيـــر:**

هو ما دل على شيء لا بعينه[6]. ويكون لتنكير المسند إليه أغراض بلاغية كثيرة ذكرها البلاغيون منها: الإفراد، أو النوعية، أو للتعظيم أو

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٥/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٤٣٧/٤.

(٢) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٠٠.

(٣) الدر المصون: ٣٠٩/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢٩/٥.

(٥) الكشاف: ٧١/٣.

(٦) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٢/٢.

للتهويل أو للتحقير أو للتكثير أو للتقليل...»[1].

وأما تنكير المسند فيكون لأغراض: إرادة عدم الحصر والعهد، أو للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه[2].

وقد تناول السَّمين الحلبي التنكير في تفسيره مُبيناً الأغراض البلاغية التي خرج لها بأسلوب يتسم بالوضوح والدقة وهي:

١- **التنكير للتبعيض**: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٣-٥]، قال السَّمين الحلبي: «وَنكَّر غاسقاً وحاسداً؛ لأنَّه قد يتخلف الضرر فيهما. فالتنكير يفيد التبعيض»[3].

وفسر الزمخشري والرازي وابن جزي وأبي حيان الآية من دون ذكر لفظ التنكير[4]. وذكر ابن عاشور أنَّ تنكير (غاسق) لغرض الدعاء[5].

٢- **التنكير للتعظيم**: ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «ونكر «هدى» ليفيد إبهامه التعظيم كقوله:

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٢/٤٢-٤٣، ومفتاح العلوم، ص٩٢، وخصائص التراكيب دراسة لمسائل علم المعاني، ص١٦٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٤٥.

(٣) الدر المصون: ٦/٥٩٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤/٨٢٧، والتفسير الكبير: ٣٢/١٧٩، والتسهيل لعلوم التتريل: ٣/٣٧٧، والبحر المحيط: ٨/٥٣٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٥٤٩.

فَلاَ وَأَبِي الطَّيْـــرِ الْمُرِبَّـــةِ بالـــضُّحَى

عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتِ عَلَى لَحَمِ[1]»[2]

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[3]، وذكر النيسابوري غرض المبالغة قائلاً: «ونكر (هدى) ليفيد ضرباً من المبالغة أي: هدى لا يبلغ كنهه»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، قال السَّمين الحلبي: «ونكر «عِلْم» تعظيماً»[5].

وهذا ما ذكره ابن عادل[6] وابن عاشور الذي قال: «وتنكير (علم) للتعظيم، أي: عالمين أعظم العلم، والعظمة هنا راجعة إلى كمال الجنس في حقيقته، وأعظم العلم هو العلم الذي لا يحتمل الخطأ ولا الخفاء أي: عالمين علماً ذاتياً لا يتخلف عنا ولا يختلف في ذاته، أي: لا يحتمل الخطأ ولا التردد»[7].

٣- التنكير للإشاعة والإبهام: وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: من الآية ٢]، قال السَّمين الحلبي: «قال الزمخشري: وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنَّه قيل أي: رحمةٍ

---

(١) البيت لأبي خراش الهذلي. ينظر: ديوان الهذليين: ٢/١٥٤.

(٢) الدر المصون: ١/١٠١.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٨٥، أنوار التتريل: ١/١٣٢، واللباب في علـــوم الكتـــاب: ١/٣٠٣، وتفسير السراج المنير: ١/٢٣، والتحرير والتنوير: ١/٣٤٢.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/١٤٨.

(٥) الدر المصون: ٣/٢٧٨.

(٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٩/١٣٧.

(٧) التحرير والتنوير: ٨/١١٧.

كانت سماوية أو أرضية»[1].

وهذا ما عليه المفسرون[2].

٤- التنكير للاتكال على المعنى: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ قوله: «فعدَّة» ولم يقل «فعدتها» اتكالاً على المعنى»[3].

وهذا قريب من رأي أبو حيان الذي قال: «ونكر «عِدّة» ولم يقل «فعدتها»، أي: فعدّة الأيام التي أفطرت اجتزاءً، إذ المعلوم أنَّه لا يجب عليه عدّة غير ما أفطر فيه مما صامه، والعدة المعدودة، فكان التنكير أخصر»[4]، ولم يذكر الزمخشري والرازي والنيسابوري غرض التنكير[5].

٥- التنكير للتعميم: وذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ «ظلماً» لأنَّه في سياق النفي، فهو يَعُمُّ كل نوعٍ من الظلم»[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٥٨/٥، وينظر: الكشاف: ٦٠٦/٣.

(٢) ينظر: مدارك التتريل: ٣٣٥/٣، والبحر المحيط: ٢٨٦/٧، واللباب في علوم الكتاب: ١٠١/١٦، وإرشاد العقل السليم: ١٤٢/٧، والتحرير والتنوير: ١١١/٢٢.

(٣) الدر المصون: ٤٦١/١.

(٤) البحر المحيط: ٣٩/٢.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٥٢/١، والتفسير الكبير: ٥٦/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٩٦/١.

(٦) الدر المصون: ١٨٥/٢.

وهذا رأي أبي حيان وغيره[1]، ولم يذكر الزمخشري غرض التنكير قائلاً: «ونكر ظلماً وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها»[2]، فهو يقصد معنى النفي وإن لم يصرح بذلك.

٦- **التنكير للتنويع**: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: من الآية ٦]، قال السَّمين الحلبي: «ونَكَّرَ «رُشداً» دلالة على التنويع، والمعنى: أيُّ نوعٍ حَصَل من الرشدِ كان كافياً»[3].

وهذا رأي أبي حيان[4]، وذكر النسفي غرض التخصيص أو التقليل بقوله: «وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الراشد في التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أي: طرفاً من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد»[5].

٧- **التنكير للتخصيص**: وذلك في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: من الآية ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «قال الزمخشري: ونكر منافع؛ لأنَّه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينياوية ولا توجد في غيرها من العبادات»[6].

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦١/٥، وإرشاد العقل السليم: ٧٠/٢.

(٢) الكشاف: ٤٢٨/١.

(٣) الدر المصون: ٣١٢/٢.

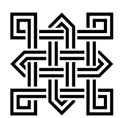
(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٨٠/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٨٨/٦.

(٥) مدارك التنزيل: ٢٠٥/١.

(٦) الدر المصون: ١٤٤/٥، وينظر: الكشاف: ١٥٣/٣.

وهذا ما ذكره البيضاوي الذي قال: «وتنكيرها لأنَّ المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة»[1]، وهذا رأي الرازي[2].

وذكر ابن عاشور غرض التعظيم قائلاً: «وتنكير (منافع) للتعظيم المراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدنيوية»[3].



---

(١) أنوار التنزيل: ١٢٣/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨٧/١٧.

المبحث الرابع

الحذف والذكر

الذكر: هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى.

والحذف: هو إسقاط سبب خفيف[1].

وهو ملحظ نحوي دقيق المسلك لهُ سماته المتفردة التي تجعله شبيهاً بالسحر[2]. ولهذا عبَّر عنه ابن الأثير بأنَّه نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجهُ إلاَّ فرسان البلاغة، وذلك لعلو منزلته[3].

فابن الأثير يعدَّه نوعاً من التأليف النحوي الذي يكتشفه أهل البلاغة. ولاشك في أنَّ أول من طرق بابه هم -النحاة- الذين عنوا بدراسته وبيَّنوا مواضعه؛ إذ كانوا يذكرون اللفظ ويحذفونه حسبما يقتضيه السياق والمعنى.

فقد أشار إليه سيبويه في أكثر من موضع من (الكتاب) مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أن ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم[4]. وعده ابن جني باباً قيماً من أبواب شجاعة العربية[5].

ومن هنا يبدو أن النحاة الأوائل قد أدركوا أهمية المباحث الإسنادية في دلالة الكلام، أسلوباً موضوعياً فنياً؛ لذا كانت: «عنايتهم الفائقة بدراسة

---

(١) التعريفات، ص٦١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

(٣) ينظر: الجامع الكبير، ص١٢٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ١/٨، ١١١، ٢٧٩.

(٥) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٠ وما بعدها.

الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها عن تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته»[1].

وكذلك اهتم البلاغيون بحذف المسند إليه وحذف المسند ورأوا الجمال والروعة يتجليان في العبارة عندما يحذف ركن من أركانها، ووجدوا من وراء ذلك دواعي بلاغية شتى ومعاني مختلفة، وأدركوا أنه يفقد قيمته عندما لا يقوم في العبارة دليل عليه، وإنَّ الحذف له فوائد وأسباب وشروط حددها العرب بلغتهم واستنبطها البلاغيون بحذقهم[2].

لقد كان اهتمام مفسرنا السَّمين الحلبي كبيراً في موضوع الحذف، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها الحذف، وقد اصطبغت دراسته بالصبغة النحوية تارةً والبلاغية تارةً أخرى، كما أنه انحاز في تفسيره انحيازاً بيِّناً للحذف على حساب الذكر.

ومن صور الحذف التي تناولها السَّمين الحلبي في تفسيره.

١- حذف المبتدأ:

ومنه قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبرُ مبتدإٍ محذوف دلَّ عليه الكلام تقديره: تقَلُّبهم أو تَصرُّفهم متاع قليل»[3].

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص٢٥.

(٢) ينظر: البرهان، ص٦٨٦-٦٨٧.

(٣) الدر المصون: ٢/٢٩١.

وهذا الرأي ذكره أغلب المفسرين[1]، قال أبو السعود: «خبر لمبتدأ محذوف أي: هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى»[2].

ومن حذف المبتدأ ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «لله» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أو ذلك لله»[3].

وهذا ما ذكره العكبري والنسفي وابن جزي وأبو حيان[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [التوبة: من الآية ٦١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: «أُذُنٌ خير لكم»: «أُذُن» خبر مبتدأ محذوف، أي: قل هو أُذُنُ خيرٍ»[5].

وهذا ما عليه أغلب العلماء والمفسرين[6].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٨٧/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢٣٢/١، وإملاء ما من به الرحمن: ١٦٤/١، ومدارك التنزيل: ٢٠٠/١، وأنوار التنزيل: ١٣٥/٢، وتفسير السراج المنير: ٢٢٣/١.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٣٥/٢.

(٣) الدر المصون: ١٧/٣.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٨٣/١، ومدارك التنزيل: ٣١٥/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٤٩/١، والبحر المحيط: ٨٦/٤.

(٥) الدر المصون: ٤٧٧/٣.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٦/١٤، ومشكل إعراب القرآن: ٣٣٠/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٩٢/٨، والبحر المحيط: ٦٤/٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٢٩/١٠، وروح البيان: ٨٨/٥، وروح المعاني: ١٤٢/١٠، والبحر المديد: ١٢٦/٣.

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[1].

٢- حذف الفاعل:

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٨]: «قوله: ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ اللامُ زائدةٌ لا تعلُّق لها بشيءٍ زيدت في مفعولِ المصدرِ وهو ظلم، والفاعلُ محذوفٌ، وهو في التقدير ضميرُ الباري تعالى، والتقدير: وما اللهُ يريد أن يَظْلِمَ العالمين»[2].

وهذا رأي الرازي وأبو حيان والنيسابوري وغيرهم[3].

ومن حذف الفاعل ما جاء في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣]، قال السَّمين الحلبي: «والفاعل محذوف تقديره: مِنْ بعدِ أنْ غَلَبهُمْ عدوُّهُمْ وهم فارسُ»[4].

وهذا رأي الزجاج الذي قال: «أي: من بعد أن غلبهم الفرس يغلبون الفرس، فالمصدر مضاف إلى المفعول وقد حذف الفاعل»[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [ص: من الآية ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «والفاعل محذوف أي: بأنْ سَألَكَ

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/١٣٣-١٣٤، ١/٢٢٥، ١/٢٥٩، ١/٢٦٠، ٦/٣٥١.

(٢) الدر المصون: ٢/١٨٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨/١٥٣، والبحر المحيط: ٣/٢٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤/٢٣٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٤٦٢، والتحرير والتنوير: ٣/١٨٧.

(٤) الدر المصون: ٥/٣٧١.

(٥) إعراب القرآن، ص٩٨، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/٣٨٢.

نَعْجَتَكَ»[1].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر هذا النوع في تفسيره[2].

٣- حذف المفعول به:

أشار السَّمين الحلبي إلى حذف المفعول وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، فقال: «والمفعول محذوف، أي: مبين كفركم بخالقكم»[3].

وهذا ما نقله ابن عادل عن السَّمين الحلبي[4]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «ومفعولُ العِلْم متروكٌ؛ لأنَّ المعنى: وأنتم من أهلِ العِلم، أو حُذِف اختصاراً أي: وأنتم تعلمونَ بُطلان ذلك»[5].

وهذا قريب من رأي أبو حيان الذي قال: «جملة حالية، ومفعول تعلمون

---

(١) الدر المصون: ٥/٥٣١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/١١٩، ١/٥٥٢، ١/٤٢٤، ٣/٣٤٣، ٥/٥٣٨، ٦/٤٣١-٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٠٢.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨/٢٣٢.

(٥) الدر المصون: ١/١٥٠.

محذوف اختصاراً، إذ المقصود: وأنتم من ذوي العلم، فلا يناسب من كان عالماً أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل، وقد قدروا حذفه حذف اختصار»[1].

وذكر ابن جزي الكلبي غرض هذا الحذف فقال: ««وأنتم تعلمون» حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي: وأنتم تعلمون وحدانيته بما ظهر لكم من البراهين»[2].

وأمثلته متعددة[3].

٤- حذف أحد المفعولين:

فمن حذف المفعول الأول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾: الجمهور على فتح تاءِ المضارعةِ، وقرأ الأعمش بضمِّها الأول؛ لأنَّه فاعلُ معنى تقديرُهُ: ولا تُنكِحُوا أنفسَكم المشركاتِ»[4].

وهذا قريب من رأي النسفي الذي قال: «حذف أحد المفعولين والتقدير: ولا تنكحوهن المشركين حتى يؤمنوا»[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: من الآية ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ حذف المفعول الأول للعلم به، أي: لا يأمر أحداً، أو لا يأمركم يا مدعي ذلك»[6].

---

(١) البحر المحيط: ٣٣٥/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٨/١.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٤٢٤/١، ١٧٠/٤، ٣٣٨/٥.

(٤) الدر المصون: ٥٤٠/١.

(٥) مدارك التنزيل: ١٠٦/١، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩/٤.

(٦) الدر المصون: ٢٥٧/٣.

وهذا ما ذكره ابن عادل[1]، و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وأمثلته متعددة[2].

ومن حذف المفعول الثاني قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩]، قال السَّمين الحلبي: «وحذف مفعول «أبصر» الثاني إما اختصاراً لدلالة الأول عليه وإما اقتصاراً»[3].

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[4]، و لم يحدد ابن جزي المفعول المحذوف[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٨]، قال السَّمين الحلبي: «والمفعول الثاني محذوف لفهم المعنى تقديره: هو موليها، وجهة أو نفسه، ويؤيد هذا قراءة ابن عامر: «مولاها» على ما لم يسم فاعله»[6].

وهذا ما ذهب إليه النحاس وأبو حيان وغيرهم[7].

٥- حذف المفعولين معاً:

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧٩/٩.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٣٣٥/١، ٥٩/٣، ٦٦/٣.

(٣) الدر المصون: ٥١٧/٥-٥١٨.

(٤) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٢٣/٣، وفتح القدير: ٥٩١/٤.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٣٧/٢.

(٦) الدر المصون: ٤٠٥/١، وينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص٢٧٥.

(٧) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٧١/١، والبحر المحيط: ٦١١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧/٣، وروح المعاني: ١٤/٢.

أشار السَّمين الحلبي إلى حذف المفعولين معاً وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، فقال: «قوله: «قل أرأيتم» مفعولاها محذوفان تقديره: أرأيتم حالكم إن كان كذا ألستم ظالمين»[١].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[٢].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «الذين زعمتم» مفعولا الزعم محذوفان، لفهم المعنى، أي: زعمتموهم آلهة»[٣].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[٤].

٦- حذف المضاف:

وقف السَّمين الحلبي على عدد غير قليل من أمثلة حذف المضاف منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله:

---

(١) الدر المصون: ١٣٦/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٧/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٣٨٥/١٧، وروح المعاني: ١٢/٢٦.

(٣) الدر المصون: ٤٠٠/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥٠/٦، واللباب في علوم الكتاب: ٣١٣/١٢، وروح المعاني: ٩٧/١٥.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ «ما» موصولةٌ بمعنى الذي، ومحلهما: إمَّا النصبُ وإمَّا الرفعُ عطفاً على «الميِّتة»، والرفعُ: إمَّا على خبر إنَّ، وإمَّا على الفاعلية على حَسَب ما تقدَّم من القراءات. و«أهل» مبني للمفعول، والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور في «به»، والضمير يعود على «ما»، والباء بمعنى «في». ولابُدَّ من حَذْفِ مضاف أي: في ذَبْحِه، لأن المعنى: وما أُبيح في ذَبْحِه لغيرِ اللهِ»[1]. وهذا ما ذكره أبو حيان[2].

ومن حذف المضاف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٨]، قال السَّمين الحلبي: «قال أبو البقاء: وفي الكلام حذف مضاف تقديره: طواف الصفا أو سعي الصفا»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان[4].

وقد يحذف أكثر من مضاف وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «و«كصيب» معطوفٌ على «كمثل»، فهو في محل رفع، ولابُدَّ من حذف مضافَيْنِ، ليصح المعنى، والتقدير: أو كمثل ذُوي صَيِّب»[5].

---

(١) الدر المصون: ٤٤٢/١.
(٢) ينظر: البحر المحيط: ٦٦٤/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٣/٣.
(٣) الدر المصون: ٤١٤/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٣٠/١.
(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦٣١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٩١/٣.
(٥) الدر المصون: ١٣٥/١.

وهذا المعنى هو المشهور وعليه أكثر المفسرين[1].

٧- حذف المضاف إليه:

هذا النوع من الحذف قليل في القرآن الكريم[2]، وله مواضع محدَّدة في القرآن الكريم منها: حذف المضاف إليه بعد ألفاظ (كل وبعض)، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: جمهور القراء على تنوين «كل»، وتنوينه للعوض من المضاف إليه، والجار خبر مقدم، و«وجهة» مبتدأ مؤخر، واختلف في المضاف إليه كل المحذوف فقيل: تقديره: ولكل طائفة من أهل الأديان وقيل: ولكل أهل موضع من المسلمين وجهته إلى جهة الكعبة يميناً وشمالاً، ووراء وقدام»[3].

وهذا ما ذكره الزمخشري وأبو حيان وغيرهم[4].

٨- حذف الصفة:

أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: من الآية ٣٢]، فمن وجوه

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/١١٤، والتفسير الكبير: ٢/٧٢، ومدارك التنزيل: ١/٢٣، والبحر المحيط: ١/٢٢١، وأنوار التنزيل: ١/١٩٩، واللباب في علوم الكتاب: ١/٣٨٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/١٧٥، وإرشاد العقل السليم: ١/٥٢.

(٢) ينظر: البرهان، ص٧١٧.

(٣) الدر المصون: ١/٤٠٥، وينظر: النشر في القراءات العشر: ١/٢٥٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/٢٣١، والبحر المحيط: ١/٦١٠، وأنوار التنزيل: ١/٤٢٥، واللباب في علوم الكتاب: ٣/٥٥، والبحر المديد: ١/١٤٨.

تفسير هذه الآية الكريمة التي ذكرها السَّمين الحلبي قوله: «أنَّ «ظناً» له صفة محذوفة تقديره: إلاَّ ظنَّاً بيناً فهو مختص لا مؤكد»[1].

وهذا قريب مما ذكره أبو حيان؛ إذ قال: «فأما الآية، فتأوَّل على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصاً لا مؤكداً، وتقديره: إلاَّ ظناً ضعيفاً...»[2].

ولم ينص أغلب المفسرين على حذف الصفة في الآية وإنَّما اكتفوا بتقديرها.

٩- حذف الموصوف:

لقد وضع العلماء شروطاً في جواز حذفه فقد ذكر الزركشي أنَّه يشترط فيه أمران:

أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

والثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السياق[3]. وفي ضوء هذا يكون لحذف الموصوف ما يسوغه وهو القرينة السياقية على وفق ما قاله العلماء.

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، فقال: «حذف الموصوف بالكوثر؛ لأنَّ

---

(١) الدر المصون: ٦/١١٣.

(٢) البحر المحيط: ٨/٥١.

(٣) ينظر: البرهان، ص٧١٨، وبدائع الفوائد: ٣/٢٧.

في حذفه من فرط الشياع والإبهام ما ليس في إثباته»[1]. وهذا ما ذكره ابن عادل والشربيني[2].

ومن حذف الموصوف أيضاً قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾. أي: سفينة. قال الزمخشري: وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابها، وتؤدي مؤدها بحيث لا يفصل بينها وبينها. ونحوه:

........................وَلَـــ كِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِن حَدِيدِ[3]

أراد: ولكن قميصي درع

.... وَلَوْ فِي عُيُونِ النَّازِيَاتِ بِأَكْرُعِ[4]

أراد: ولو في عيون الجراد. ألا ترى أنَّك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة. أو بين الجراد والدرع وهاتين الصفتين لم يصح، وهذا من فصيح الكلام وبديعه»[5]. وهذا هو المشهور بين المفسرين[6].

---

(١) الدر المصون: ٥٧٨/٦.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٥/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٤٣٧/٤.

(٣) عجز البيت للمتنبي وهو في ديوانه: ١٦٣/١، وصدره: مفرشي صهوة الحصان ولـــ.

(٤) لم أعثر على قائله، وصدره: وإني لأستَوفي حُقوقي جاهداً.

(٥) الدر المصون: ٢٢٧/٦، وينظر: الكشاف: ٤٣٥/٤.

(٦) ينظر: مدارك التتريل: ١٩٥/٤، والتسهيل لعلوم التتريل: ١٠٥/٣، والبحر المحيط: ١٧٦/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٢٤٩/١٨، والجواهر الحسان: ٢٣٥/٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢١٩/٦، والدر المنثور: ٦٧٥/٧، وروح المعاني: ٨٣/٢٧.

١٠- حذف المصدر:

يحذف المصدر إذ دَلَّ عليه الفعل، باعتبار أنَّ الفعل حدث مقرون بزمن، وهو ما يخلو منه المصدر[١]. وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في نصب «قليلاً» ستةُ أوجهٍ: أحدها وهو الأظهرُ: أنه نعت لمصدرٍ محذوفٍ أي: فإيماناً قليلاً يؤمنون»[٢].

وهذا قريبٌ مما ذكر الطبري قائلاً: «ولذلك نصب قوله: «فقليلاً»، لأنَّه نعت للمصدر المتروك ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم، فإيماناً قليلاً ما يؤمنون»[٣]، وهذا الرأي هو المشهور بين المفسرين[٤].

١١- حذف المنادى:

تناول السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ألا يسجدوا» قرأ الكسائي بتخفيف «ألاَ» والباقون بتشديدها فأمَّا قراءة الكسائي فَـ«ألاَ»

---

(١) ينظر: الجواهر: ٤٨١/٢، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص١١٣.

(٢) الدر المصون: ٢٩٦/١.

(٣) جامع البيان: ٣٣٠/٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٥٩/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٩٠/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦/٢، ومدارك التنزيل: ٥٧/١، والبحر المحيط: ٤٧١/١، والجواهر الحسان: ٨٧/١، والبحر المديد: ١٢٢/١.

فيها تنبيه واستفتاح و«يا» بعدها حرف نداء أو تنبيه... والمنادى محذوف تقديره: هؤلاءِ اسْجُدُوا»[1].

وقال الفرّاء: «زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتحقيق كان المعنى: ألا يا قوم ويا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السماوات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده»[2].

ويرى الزمخشري أنَّ: من قرأ بالتشديد أراد: فصدَّهم عن السبيل لئلاَّ يسجدوا فحذف الجار (من أن) ويجوز أن تكون (لا) مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أنْ يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا...»[3]، وتبعه النسفي في ذلك[4].

١٢- حذف التمييز:

ورد حذف التمييز في تفسير السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٦]، قال السَّمين الحلبي: «ومميِّزُ السبعةِ والعشرةِ محذوفٌ للعلمِ به»[5].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) الدر المصون: ٣٠٧/٥ قرأ الكسائي (ألا تَسْجِدُوا) كُلَهم شَدَّدَ السلام في ألا يَسْجُدوا غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن ووقف على ألاَّ ثم ابتدأ (اسْجُدوا). ينظر: السبعة، ص٤٨٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٩٠/٢.

(٣) الكشاف: ٣٦٦/٣.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: ٢١٠/٢.

(٥) الدر المصون: ٤٨٨/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: من الآية ١٤]، قال السَّمين الحلبي: «والمميز لأفعل محذوف، لدلالة المضاف إليه عليه أي: أحسن الخالقين خلقاً أي: المقدرين تقديراً»(١).

وهذا مما ذهب إليه الزمخشري قائلاً: «أي: أحسن المقدرين تقديراً، فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه»(٢)، وتبعه النسفي وابن عادل، والنيسابوري وغيرهم(٣).

١٣- حذف القول:

ظهر حذف القول بشكل واضح وكثير عند السَّمين الحلبي في تفسيره، منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كلوا» هذا على إضمار القَوْلِ، أي: وقُلنا لهم: كُلوا، وإضمارُ القول كثيرٌ في لسانهم، ومنه: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ [الرعد: الآية ٢٣، ومن الآية ٢٤] أي: يقولون سلامٌ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: من الآية ٣] أي: يقولون ذلك، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ

---

(١) المصدر نفسه: ١٧٧/٥.

(٢) الكشاف: ١٨٢/٣.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١١٨/٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٨٣/١٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١١٢/٥، وروح البيان: ٣٧٥/٧، والبحر المديد: ١٠/٥.

وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٦] أي: فيُقال لهم ذلك»[1].

وهذا رأي ابن عطية والثعلبي والقرطبي وغيرهم[2].

ومن حذف القول أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام: من الآية ٩٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «اخرجوا» منصوب المحل بقول مضمر، والقول يضمر كثيراً، تقديره: يقولون: اخرجوا»[3].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب العلماء والمفسرين[4].

١٤- حذف القسم:

تناول السَّمين الحلبي حذف القسم في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله:

---

(١) الدر المصون: ٢٣١/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٢/١، والكشف والبيان: ٢٠١/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤٢١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠١/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٩٢/١.

(٣) الدر المصون: ١٢٣/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٤/١، ومعالم التتريل: ١٦٩/٣، والمحرر الوجيز: ٣٨١/٢، والتفسير الكبير: ٧٠/١٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٥٢١/١، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٥٣/١، والكشف والبيان: ١٧٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩٠/٨.

«ليجمعنَّكم» جواب قسم محذوف، أي: والله لَيَجْمَعَنَّكُمْ»[1].

وهذا رأي أغلب المفسرين[2]، قال أبو السعود: «جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي: والله ليجمعنكم في القبور»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «واللام في «ليؤمنن» جوابُ قسمٍ محذوف. وقال أبو البقاء: «ليؤمنن جواب قسم محذوف، وقيل: أكَّد بها في غير القسم كما جاء في النفي والاستفهام»[4].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[5].

وأمثلته متعددة[6].

١٥- حذف الأجوبة:

أشار السَّمين الحلبي إلى أمثلة كثيرة جاءت مسبوقة بإحدى أدوات الشرط، إلاَّ أن جوابها محذوف، لدواعٍ بلاغية بيَّنها السَّمين الحلبي، ومن هذه

---

(١) الدر المصون: ١٧/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٧٩/١١، ومعالم التنزيل: ١٣١/٣، والتفسير الكبير: ١٣٧/١٢، وتفسير السراج المنير: ٣٢٨/١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١١٥/٣.

(٤) الدر المصون: ٤٥٩/٢، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٠٦/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٤٠٨/٣، وحاشية الصبان: ٢٢٤/١، واللباب في علوم الكتاب: ١١٧/٧، وروح المعاني: ١٢/٦.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٢٣٥/١، و٤٠٠/١، و٢٤١/٣، و٤١٠/٤.

الأنواع.

أ - **حذف جواب** (إنْ): وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ [الممتحنة: من الآية ١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إن كنتم خرجتم» جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم «لا تتخذوا» ومقدم وهو «لا تتخذوا» عند الكوفيين ومن تابعهم.

وقال الزمخشري: «إن كنتم خرجتم» متعلق «تتخذوا» يعني: لا تقولوا أعدائي إن كنتم أوليائي، وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه»(١).

وهذا ما ذكره العكبري، وابن جزي، والبيضاوي، وغيرهم(٢).

وأمثلته متعددة(٣).

ب- **حذف جواب** (إذَا): نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «وجواب (إذا) محذوف يدل عليه قوله: «لكل امرئٍ منهم شأن يغنيه» أي التقدير: فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه»(٤).

---

(١) الدر المصون: ٣٠٢/٦، وينظر: الكشاف: ٥١٢/٤.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢١٧/٢، والتسهيل لعلوم التتريل: ١٦٤/٣، وأنوار التتريل: ٣٢٦/٥، والجواهر الحسان: ٢٩٠/٤، والتحرير والتنوير: ١٢٢/٢٨.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٣٦/٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨٢/١.

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[1] ومنهم أبو حيان الذي قال: «وجوابه (إذا) محذوف تقديره: اشتغل كل إنسان بنفسه»[2].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف في مواضع متعددة من تفسيره[3].

ج- حذف جواب (لَّما): كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وجاءته البشرى» عطف على «ذهب» وجواب (لَّما) على هذا محذوف، أي: فلما كان كيت وكيت اجترأ على خطابهم أو فطن لمجادلتهم»[4].

وهذا المعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[5].

وأمثلته متعددة في تفسيره[6].

د - حذف جواب (لو): قال السَّمين الحلبي في هذا الحذف: «وحذف

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل: ٣١٨/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٠/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٣٥٦/٤، وفتح القدير: ٥٤٣/٥.

(٢) البحر المحيط: ٤٢١/٨.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٢٣٢/٢، و٦٢٤/٢، و٤٨٧/٥، و٥٢٥/٦.

(٤) المصدر نفسه: ١١٦/٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣٨٩/٢، والمحرر الوجيز: ٢٠٧/٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٤٣/٢، ومدارك التنزيل: ١٦٤/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/٢، وأنوار التنزيل: ٢٤٦/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٨/٤، والتحرير والتنوير: ٢٩٩/١١.

(٦) ينظر: الدر المصون: ١٣٢/١، و١٦١/٤، و٥١٠/٥.

جواب (لو) شائعٌ مستفيض، وكثُر حَذْفُه في القرآن. وفائدة حَذْفه استعظامُه وذهابُ النفسِ كلَّ مذهبٍ فيه بخلاف ما لو ذُكِر، فإنَّ السامعَ يقصُر هَمَّه عليه»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «لو كانوا يعلمون» جواب (لو) محذوف تقديره: لو كانوا يعلمون ذم ذلك لما باعوا به أنفسهم، وهذا أحسن من تقدير أبي البقاء: «لو كانوا ينتفعون بعلمهم لامتنعوا من شراء السحر»؛ لأنَّ المقدر كلَّما كان متعبداً من اللفظ كان أولى»[2].

وهذا رأي أبي حيان وأبي السعود[3]. وأمثلته متعددة[4].

هـ- حذف جواب (لولا): نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠]، قال السَّمين الحلبي: ««ولولا فضل الله»، جواب «لولا» محذوف أي: لَهَلَكْتُمْ»[5].

وهذا هو المشهور[6]، قال النيسابوري: «وجواب (لولا) محذوف أي: لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد، وإنَّما حسن حذفه

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٢٩.

(٢) الدر المصون: ١/٣٢٩، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/١٠١.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ١/٢٨٨، وإرشاد العقل السليم: ١/١٤٠.

(٤) ينظر: الدر المصون: ١/٤٢٨-٤٢٩، و١/٤٣١.

(٥) المصدر نفسه: ٥/٢١٢.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/٩٦٦، وإملاء ما من به الرحمن: ٢/١٥٤، والبحر المحيط: ٦/٤٠٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٣١١، والبرهان، ص٧٤٠.

ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ في البيان»[1].

وأمثلته متعددة[2].

١٦- حذف الحروف:

وفي حذفها دلالات بيانية تنطوي على مقدار غير يسير من الأسرار البلاغية، وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من الحذف ومنه:

- **حذف الهمزة:** ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال السَّمين الحلبي: «و«هذا ربي» محكي بالقول، فقيل: هو خبر محضٌ بتأويل ذكره أهل التفسير. وقيل: بل هو على حذف همزة الاستفهام، أي: أهَذَا رَبِّي»[3].

وذهب القرطبي والسمرقندي إلى تقديرهُ «أهذا ربي»[4]، والصحيح أنه خبر، قال ابن هشام: «وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في المواضع الثلاثة: والمحققون على إنه خبر»[5]، وقال البقاعي: «فكأنه من بصره أن أتى بهذا الكلام الصالح؛ لأن يكون خبراً واستفهاماً ليوهم أنه مخبر»[6]، وهذا ما عليه العلماء[7].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٦٤/٥.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١٦٨/٤، و٣٤٦/٥، و١٦٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٦/٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٥، وبحر العلوم: ٤٨١/١.

(٥) مغني اللبيب: ٢٠/١.

(٦) نظم الدرر: ١٥٩/٧.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤١/١، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٩٢/٢، والبحر المحيط: ١٧٢/٤، وفتح القدير: ١٣٣/٢.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٣٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «لكنا هو الله ربي» قرأ ابن عامر بإثبات الألف وصلاً ووقفاً، والباقون بحذفها وصلاً وإثباتاً ووقفاً، فالوقف وِفَاقٌ، والأصل في هذه الكلمة: «لَكِنْ أَنَا» فنقل حركة همزة أنا اعتباطاً، فالتقى مثلان فأدغم»(١).

وهذا التوجيه للمعنى مشهور وموافق لما قال به أغلب المفسرين(٢).

– **حذف الواو**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: من الآية ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويمحُ الله الباطل» هذا مستأنف غير داخل في جزاء الشرط؛ لأنَّه تعالى يمحو الباطل مطلقاً وسقطت الواو منه لفظاً لالتقاء الساكنين في الدرج وخَطًّاً حملاً للخط على اللفظ كما كتبوا: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] عليه ولكي ينبغي أن لا يجوز الوقف على هذا؛ لأنَّه إن وُقِفَ عليه بالأصل وهو الواو خَالَفْنا خط المصحف وإن وقفنا بغيرها موافقة للرسم خالفنا الأصل»(٣).

وقال أبو حيان: «استئناف إخبار، أي: يمحوه... وكتب يمح بغير واو، كما كتبوا سندع بغير واو، اعتباراً بعدم ظهورها، لأنَّه لا يوقف عليها وقف اختيار، ولما سقطت من اللفظ سقطت من الخط»(٤).

---

(١) الدر المصون: ٤/٤٥٦، وينظر: النشر: ٢/٣٤٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١/٥٢، وجامع البيان: ١٨/٢٣، والتفسير الكبير: ٢١/١٠٧، والبحر المحيط: ٦/١١٧، وأنوار التنزيل: ٣/٤٩٧، وروح المعاني: ١٥/٢٧٧.

(٣) الدر المصون: ٦/٨٠-٨١.

(٤) البحر المحيط: ٧/٤٩٥.

وذكر البقاعي غرض هذا الحذف فقال: «... إيماء إلى أنَّه سبحانه يمحق رفعه وعلوِّه، وغلبته التي دلَّت عليها الواو مطابقة بين خطِّه ولفظه، ومعناه تأكيداً للبشارة... وفي هذا الحذف أيضاً تشبيه بفعل الأمر إيماء إلى أنَّ إيقاع هذا المحو أمرٌ لابد من كونه على أتم الوجوه وأحسنها»(١).

– **حذف الياء:** ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، ذهب السَّمين الحلبي إلى القول بالحذف قائلاً: «وقرأ أبو عمرو والكسائي ونافع «يَأْتِي» بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً وفي مصحف عثمان حذفها وإثباتها هو الوجه، لأنها لام الكلمة، وإنَّما حذفوها في القوافي والفواصل، لأنَّها محل وقوف، وقالوا: لاَ أدْرِ ولاَ أبَالِ.

وقال الزمخشري: إن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هُذَيل»(٢).

– **حذف حرف الجر:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: من الآية ١٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واختُلفَ في تقدير حرف الجر فقيل: هو «في» أي: ترغبون في نكاحهن لجمالِهنَّ ومالِهنَّ، وقيل: هو «عن» أي: ترغبون عن نكاحهن لقُبحِهنَّ وفقرهِنَّ... والقول الأول مرويٌّ

---

(١) نظم الدرر: ٣٥٧/٥.

(٢) الدر المصون: ١٣٠/٤، وينظر: النشر: ٢٩٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ١٣٥/٢، والكشاف: ٦٠٤/١.

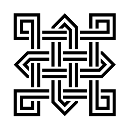
عن عائشة -رضي الله عنها- وطائفة كبيرة»[1].

وذكر هذه الأقوال هو المشهور بين المفسرين[2].

وأمثلته متعددة[3].

- **حذف حرف النداء:** كقوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا**﴾ [يوسف: من الآية ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: ««يوسف» منادى محذوف منه حرف النداء»[4]. ثم يذكر رأي الزمخشري قائلاً: «لأنَّه منادى قريب مقاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله»[5].

وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[6].



---

(١) الدر المصون: ٤٣٤/٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للزجاج، ص٢٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٢٠٣/٢، والكشاف: ٦٠٤/١، ومدارك التنزيل: ٢٥١/١، والبحر المحيط: ٣٧٨/٣، وأنوار التنزيل: ٢٦١/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١٥٨/١، ٤١٤/١، ٦٤٦/١.

(٤) المصدر نفسه: ١٧١/٤.

(٥) الدر المصون: ١٧١/٤، وينظر: الكشاف: ٤٣٥/٢.

(٦) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ١٥٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٥/٩، ومدارك التنزيل: ١٨٥/٢، وأنوار التنزيل: ٢٨٤/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٧٠/٤.

المبحث الخامس

الفصل والوصل

الفصل (لغةً): القطع، والوصل خلاف الفصل ويعني فصل الشيء بالشيء[1]. والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه[2]، وإذا ما أردنا أن نربط التعريف اللغوي بالتعريف البلاغي نكتشف أنَّ الارتباط وثيق بين التعريفين، فالفصل قطع الجمل والوصل ربط الجمل.

ولكنَّ علينا أن نعرف مواضع الفصل والوصل وقد عَدَّ التفتازاني الابتداء بالفصل الأصل؛ لأنَّ الوصل عارض على الفصل قال معلقاً على ابتداء القزويني بالفصل من دون الوصل: «بدأ بذكر الفصل؛ لأنَّه الأصل، والوصل طارئ أي: عارض عليه حاصل بزيادة حرف، لكنْ لَمَّا كان الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة عدمها والإعدام إنما تعرف بملكتها بدأ في التعريف بذكر الوصل»[3]. ويقصد بمنزلة الملكة أي الأمر الوجودي؛ لأنَّ حرف العطف بوجوده يكون الكلام موصولاً وبعدمه يكون الكلام مقطوعاً.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنَّه قيل للفارس ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل[4].

ويعد الجرجاني من أبرز من تحدث عن مواضع الفصل والوصل فقال

---

(١) لسان العرب، مادة (فصل).

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص١٧٥، وتهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٣) تهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١.

فيه: «إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها -ولو عطفت- بعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف، وجملة ليست في الشيء من الحالين... وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين»[1].

واتفق البلاغيون فيما بعد على إنَّ الفصل يجب في خمسة مواضع وأنَّ الوصل يجب في ثلاثة مواضع[2].

وقد عرَّف السَّمين الحلبي الفصل بأنَّه: عدمُ العطف، والفصل بأنَّه: العطفُ[3].

◈ مواضع الفصل:

الأول: وضابطه أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوّز والغلط، وهو قسمان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَ

(١) دلائل الإعجاز، ص١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١/٢٤٦، والتلخيص، ص١٤٧.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١/٥٧٢.

﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ﴾ [المائدة: من الآية: ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: «"جميعاً" توكيد له أو حال منه»[1].

قال أبو السعود: «وقوله: "جميعاً" توكيد للموصول أو حال منه»[2]، وهو رأي بعض المفسرين[3].

٢- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «"أنت" يجوز فيه التأكيد والابتداء والفصل»[4].

وهذا رأي أبي حيان[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: "وهم بالآخرة هم" هم الثانية توكيداً للأولى توكيداً لفظياً»[6].

وهذا رأي الزجاج الذي قال: «فكررهم تأكيداً»[7]، وقال النسفي: «هم

---

(١) المصدر نفسه: ٢/٥١٨.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣/٣٣.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧/٣١٣، وروح البيان: ٣/٢٤٩، وروح المعاني: ٦/١٢٩.

(٤) الدر المصون: ١/٣٧٠.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ١/٥٥٩.

(٦) الدر المصون: ٤/٨٧.

(٧) إعراب القرآن، ص٦٠.

الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به»[1]، وهو رأي الشوكاني[2].

ومن النوع الثاني لكمال الاتصال أن تكون الثانية بدلاً من الأولى وهو ضربان:

١- أن تترل الثانية من الأولى مترلة البعض من متبوعه، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾: (ما) مصدرية ظرفيةٌ، و(داموا) صلتُها، وهي (دام) الناقصةُ، وخبرُها الجارُّ بعدَه، وهذا الظرفُ بدل من (أبداً) وهو بدلُ بعضٍ من كل؛ لأنَّ الأُبَدَ يَعُمُّ الزمنَ المستقبل كلَّه، ودوامُ الجبارين فيها بعضُه، وظاهر عبارة الزمخشري يحتمل أن يكون بدلَ كل من كل أو عطف بيان، والعطفُ قد يقع بين النكرتين على كلامٍ فيه تقدَّم، قال الزمخشري: (وأبداً) تعليقٌ للنفي المؤكد بالدهر المتطاول، و(ماداموا فيها) بيانُ الأمر)، فهذه العبارة تحتمل أنَّه بدلُ بعضٍ من كل، لأنَّ بدلَ البعض من الكل مبيِّنٌ للمراد نحو: (أكلت الرغيف ثلثه)، ويحتمل أن يكونَ بدلَ كل فإنَّه بيانٌ أيضاً للأولِ وإيضاحٌ له، نحو: (رأيت زيداً أخاك)، ويحتمل أن يكونَ عطفَ بيان»[3].

وذكر العكبري وأبو حيان والبيضاوي اشتمال الآية على بدل البعض[4].

---

(١) مدارك التتريل: ١٥٠/٢.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٧٠٩/٢.

(٣) الدر المصون: ٥٠٧/٢، وينظر: الكشاف: ٦٥٥/١.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٣١/١، والبحر المحيط: ٤٧١/٣، وأنوار التتريل: ٣١٣/٢.

وأمثلته متعددة[1].

٢- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال، كقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: هذه الجملة الفعلية يحتمل أن تكون مستأنفة جواباً لسؤال مقدر وهو: ما بالهم قالوا آمنا، وما هم بمؤمنين؟ فقيل: يخادعون الله ويحتمل أن تكون بدلاً من الجملة الواقعة صلة لـــ(من) وهي (يقول) ويكون هذا من بدل الاشتمال؛ لأنَّ قولهم كذا مشتمل على الخداع فهو نظير قوله:

إنَّ عَلَـــيّ اللهَ أنْ تبايِعَـــا ... تُؤخَذَ كَرْهاً أوْ تَجِيءَ طَائِعَاً[2]

وقول الآخر:

مَتَى تَأتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَـا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً ونَاراً تَأجَّجَا[3]

فـــ(تؤخذ) بدل اشتمال من (تبايع) وكذا (تلمم) بدل من تأتنا»[4].

٣- قد يكون في الجملة خفاء وإبهام فتأتي بعدها جملة أخرى تكشف هذا الخفاء وتزيل ذلك الإبهام، والمقام يقتضي ذلك، وذلك هو عطف البيان، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، قال

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/٦٧٥-٦٧٦، ٣/٢١٦.

(٢) لم أعثر على قائله.

(٣) البيت لعبيد الله بن الحر الجعفي.

(٤) الدر المصون: ١/١١٣.

السَّمين الحلبي: «قوله: «بكلمة منه» في محل جرٍ صفة لكلمة، والمراد بالكلمة هنا عيسى، سمي كلمةً لوجوده بها وهو قوله: «كن فيكون» فهو من باب إطلاق السبب على المُسَبَّب. و(اسمه) مبتدأ، و(المسيح) خبرهُ، و(عيسى) بدلٌ منه أو عطفُ بيان»[1].

الثاني: وهو أنْ يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي: تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنىً، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، فإنَّ جملة (إنَّ الله خبيرٌ) خبرية، وجملة (اتقوا) إنشائية (أمر) لذلك لم تعطف الثانية على الولى، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «واتقوا الله» تأكيد، وقيل: كرر لتغاير متعلق القولين: فمتعلق الأولى إذاً الفرائض لاقترانه بالعلم، والثانية: ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد»[2].

وهذا هو المشهور بين المفسرين[3].

الثالث: وضابطه أنْ تكون الجملة الأولى مورد السؤال الذي قد تضمنته والمقدر فيها، فجاءت الثانية جواباً لها أو جواباً لسؤال قُدِّر في الجملة الأولى، وإذ ذاك يجب فصل الثانية عن الأولى لوقوعها جواباً عن السؤال المقدر فيها، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف)، كقوله

---

(١) الدر المصون: ٩٣/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٩٩/٦، وينظر: الكشاف: ٥٠٧/٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥٣/٢٩، والبحر المحيط: ٢٤٨/٨، وأنوار التتريل: ٣٢٣/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٦٠٧/١٨، وتفسير السراج المنير: ١٨٢/٤.

تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: من الآيتين: ٩-١٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وجعل» مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما بأجنبي وهو قوله: «وتجعلون»»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة ذاكراً رأي الزمخشري ومُرجحاً لهُ: «قوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّها جملة كررت للتوكيد لَمَّا طال الفصل بالمفاعيل كررت... كذا قال الشيخ.

والثاني: أنَّه ليس بتأكيد وإليه نحا الزمخشري، فإنَّه قال: فإنْ قلتَ: ما معنى تكرار «رأيت» قلت: ليس بتكرار، إنَّما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب ﵇ قال له عند قوله: «إنِّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر»، كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: «رأيتهم لي ساجدين». قلتُ: وهذا أظهر، لأنَّه متى حمل الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس، فحمله على الثاني أولى»[2].

الرابع: وضابطه أن يكون ثمة جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية فيترك العطف لئلا يُظن أنها معطوفة

---

(١) الدر المصون: ٥٧/٦.

(٢) الدر المصون: ١٥٣/٤، وينظر: الكشاف: ٤١٨/٢، والبحر المحيط: ٢٨١/٥.

على الثانية، وتسمى هذه الحالة (شبه كمال الانقطاع)، ومثالهم قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تهيم

ففي هذا البيت ثلاث جمل (تظن) و(أبغي) و(أراها) ولا مانع من عطف الأخيرة (أراها) على الأولى (تظن)، ولكن عطفها على الثانية (أبغي) لا يجوز؛ لأنَّه غير مراد أصلاً، فلا معنى لقوله (أبغي بدلاً وأراها)[1]. و لم أجد شواهد للسَّمين الحلبي في تفسيره ذكرناها إكمالاً للفائدة.

الخامس: وضابطه أنْ تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصول كأنْ يكون الأولى حكماً يقصد إعطاؤه للثانية كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤- من الآية ١٥]، فقد فصل جملة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، عن جملة «قالوا»، لأنَّ قولهم مقيد بوقت خلوهم إلى شياطينهم أما استهزاء الله بهم فدائم في كل آن، وليس مقيداً بهذا الوقت، ولذا وجب الفصل لعدم الاشتراك في القيد... وأما فصل هذه الجملة: «الله يستهزئ بهم» عن جملة «إنا معكم» فلعدم قصد التشريك في الحكم الإعرابي[2]. هذا و لم أجد شواهد للسَّمين الحلبي في تفسيره ذكرناها إكمالاً للفائدة.

وللوصل مواضع ثلاثة هي:

الأول: وضابطه أنْ يكون بين الجملتين انقطاع تام فتوصلان دفعاً للفهم الخاطئ فقولنا: «لا، وأيدك الله» وصلٌ واجبٌ لكي لا يُفهم الدعاء بالسوء؛

---

(١) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١١٤، والبيت للمهلهل بن مالك الكناني، ينظر: معجم الشواهد العربية: ٢/٣٥٦.

(٢) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص٤٧٥.

إذ من المعروف أنَّ (لا) إذا دخلت على الماضي أعطت معنى الدعاء والكلام ليس بذلك فهو واجبٌ لسائل (هل الأمر كذلك) فنجيب (لا، وأيدك الله) فالجملة الأولى خبرية (لا ليس الأمر كذلك) والثانية إنشائية؛ لأنَّها أخذت معنى الدعاء (أيدك الله)[1].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقْبِضْنَۚ﴾ [الملك: من الآية ١٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقبضن» عطف الفعل على الاسم؛ لأنَّه بمعناه أي: وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ﴾ [الحديد: من الآية ١٨]، فإنَّ الاسم هنا مؤول بالفعل»[2].

الثاني: وضابطه أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنًى كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، فعطف جملة (كُلا) على جملة (اسكن) لأنَّهما إنشائيتان. قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وكلا منها رغداً» هذه الجملة عطفٌ على «اسكن» فهي في محلِّ نصبٍ بالقول»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وأوفوا بعهدي» هذه جملةٌ أمريةٌ عطفٌ على الأمرية قبلَها»[4].

---

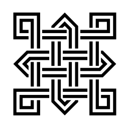
(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/٥٥٣.

(٢) الدر المصون: ٦/٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه: ١/١٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٠٣.

الثالث: وضابطه أنْ يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وينبغي هنا أنْ تكون مناسبة بين الجملتين[1]. كقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ [سبأ: من الآية ٣٩]، عطفت جملة (يقدر) على جملة (يبسط) ؛ لأنَّ المراد إشراكهما بحكم إعرابي واحد فالثانية بمنزلة الخبر أيضاً للفظ الجلالة وتقدير الكلام (الله باسط وقادر)[2]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقدر» أي: يُضَيِّقُ بدليل مقابلته ليَبْسُطُ»[3].



(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣.

(٢) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٤٥.

(٣) الدر المصون: ٤٤٩/٥.

المبحث السادس

القصر والحصر

القصر (**لغةً**): الحبس والالتزام، نقول: قَصَرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها[١]. وقَصرَ عن الشيء عجز عَنْهُ و لم يبلغه وبَابهُ دَخَلَ[٢].

القصر (**اصطلاحاً**): هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة[٣].

والقصر توكيد وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤديه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوب القصر يتكون من ركنين هما: المقصور والمقصور عليه، أي أحد الشيئين موصوف والآخر صفة[٤]. وطرق القصر أربعة هي:

١- النفي والاستثناء وهي: (لا وإلاَّ، وما وإلاَّ، وإن وإلاَّ) وهنا يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء.

٢- (إنَّما) ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

٣- العطف بـــ(لا، وبل، ولكن) فإن كان العطف بـــ(لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف بـــ(بل ولكن) كان المقصور عليه ما بعدهما.

---

(١) لسان العرب، مادة (قصر).

(٢) المصدر نفسه، مادة (قصر).

(٣) ينظر: الإتقان: ٣/١٢٧، والميسر في البلاغة العربية، ص٢١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/١٢٧.

٤- تقديم ما حقه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدّم[(١)].

وللقصر طرفان هما: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به، ويقسِّم البلاغيون القصر على ثلاثة أقسام.

أ - القصر باعتبار طرفيه:

١- قصر الموصوف على الصفة:

وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى غيرها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: من الآية ١٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «غاية ما في الباب أنَّ (إلاَّ) دخلت على الصفة لتفيدَ الحصر»[(٢)].

٢- قصر الصفة على الموصوف:

وفيه تكون الصفة مقصورة على الموصوف وحده، لا تتجاوز إلى غيره، ادِّعاءً بأنَّه ليس لهذه الصفة موصوف آخر غير المنصوص عليه، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ذكر السَّمين الحلبي أنَّ لتفسير الآية أوجه أحدها ما جاء في قوله: «قوله: «إلاَّ الله». إنّه فاعل «يعلم» و«من» مفعوله و«الغيب» بدل من «من في السماوات» أي: لا يعلم مَنْ في السماوات والأرض إلاَّ الله أي الأشياء الغائبة التي تحدث في العالم»[(٣)].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٨.

(٢) الدر المصون: ٢/٤٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٥/٢٢٣.

ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع:

١- القصر الحقيقي:

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّ وما في خبرها في محل رفع القيامة مقام الفاعل؛ إذ التقدير: إنَّما يوحى إليَّ وحدانية إلهكم. وقال الزمخشري: إنَّما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنَّما زَيْدٌ قائِمٌ، وإنَّما يقوم زيدٌ، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأنَّ إنما يوحى إليَّ مع فاعله بمترلة إنما يقوم زيدٌ و«إنَّما إلهكم إله واحد» بمترلة إنما زيدٌ قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أنَّ الوحي لرسول الله ﷺ مقصور على استثناء الله بالوحدانية...»[1].

وهذا رأي الزمخشري وغيره[2].

٢- القصر غير الحقيقي (الإضافي):

وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر إلى جميع ما عداه[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١-٣]، قال السَّمين الحلبي: «إنَّا أنزلنا عليك

---

(١) الدر المصون: ٥/١١٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/١٣٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٣/٦٢٣، وتفسير السراج المنير: ٢/٤٢٠.

(٣) ينظر: الإيضاح، ص٧، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٧٦.

القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاومة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوَّة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلاَّ ليكون تذكرة»[1].

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أنَّ القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين، والمخاطب في أسلوب القصر إما أن يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدعيه الحاجة[2].

١- قصر إفراد:

وفيه يعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، أي تخصيص أمر بصفة من أخرى[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: من الآية ٧٣]، قال السَّمين الحلبي: «والتقدير: وما إله في الوجود إلاَّ إله متصف بالوحدانية. قال الزمخشري: (من) في قوله (من إله) الاستغراق، وهي المقدرة مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك: (لا إله إلاَّ الله) والمعنى: وما من إله قط في الوجود إلاَّ إله متصفٌ بالوحدانية وهو الله تعالى... قال مكي: ويجوز في الكلام النصبُ (إلاَّ إلهاً) على الاستثناء»[4].

---

(١) الدر المصون: ٥/٥.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٣) ينظر: الميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٤) الدر المصون: ٥٨٣/٢، وينظر: الكشاف: ٦٩٧/١.

وهذا ما ذكره النسفي والنيسابوري وابن عادل[1].

٢- قصر القلب:

وفيه يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم له أي يعتقد عكس تلك الصفة الأولى ويسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع[2]. ومثاله (وما علي إلاَّ شاعر) إذا كان المخاطب يعتقد اتصاف علي بالخطابة لا بالشعر، كان القصر قصر قلب. و لم أجد شواهد في تفسير السَّمين الحلبي لهذا النوع.

٣- قصر التعيين:

وفيه يكون المخاطب متردداً في الحكم بين عليه أي: واضح أي من تساوي الأمران عنده، أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة[3]. كما في المثال السابق (ما علي إلاَّ شاعر) أي كان المخاطب متردداً لا يدري أي الصفتين هي صفة عليّ، كان هذا القصر قصر تعيين.

ومن طرق القصر:

١- القصر بالنفي والاستثناء:

وهي أوسع طرائق القصر وأكثرها شهرة ودوراناً في كتاب الله، والنفي والإثبات أساسا أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا تلك المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، ويستخدم هذا الطريق فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يجهله ولا يعرفه، أو فيما يشك

---

(١) ينظر: مدارك التتريل: ٢٩٥/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦٢٣/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٠/٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١١٩/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٩/١.

فيه ويرتاب[1].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى أن تظن إلاَّ ظناً قلت: أصله نَظُنُّ ظَنَّاً ومعناه إثبات الظن حَسْبُ، وأدخِلَ صرفُ النفي والاستثناء ليُفاد إثبات الظن ونفي ما سواه ويزيدُ نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله: «وما نحن بمستيقنين»»[2].

وهذا رأي النسفي وأبو حيان وغيرهم[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إن هي إلاَّ حياتنا» «إن» نافية، و«هي» مبتدأ، و«حياتنا» خبرها، ولم يكتفوا بمجرد الإخبار بذلك حتى أبرزوها محصورة في نفي وإثبات»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ومن يغفر» استفهامٌ معناه النفي، ولذلك وقع بعده الاستثناءُ»[5].

---

(١) ينظر: علم المعاني، د. بسيوني، ص٣١٠.

(٢) الدر المصون: ٦/١٣٢، وينظر: الكشاف: ٤/٢٩٦.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ٤/١٣٤، والبحر المحيط: ٨/٥١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/١١٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٧/٣٧٣، والبحر المديد: ٧/١١١.

(٤) الدر المصون: ٣/٤١.

(٥) الدر المصون: ٤/٢١١.

٢- القصر بـــ(إنَّما):

إنَّ القول بإفادة (إنَّما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللغويين والنحاة والبلاغيين، ومعنى (إنَّما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»[١].

وتحدث السَّمين الحلبي عن إفادة هذه الأداة لمعنى القصر في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «إنَّما نحن مصلحون» «إنَّ» حرفٌ مكفوفٌ بـــ«ما» الزائدة عن العمل، ولذلك تليها الجملةُ مطلقاً، وهي تفيد الحصرَ عند بعضهم. وأبعَدَ مَنْ زعم أن «إنَّما» مركبة من «إنَّ» التي للإثبات و«ما» التي للنفي، وأنَّ بالتركيب حدث معنىً يفيد الحصرَ»[٢].

٣- القصر بالعطف:

ويكون بين أمرين أو أكثر يراد إثبات قسم منها ونفي القسم الآخر وأدواته ثلاثة: (لا، بل، لكن). و(لا) النافية تحدّثَ عنها سيبويه عن القصر بالعطف في حديثه عن النعت وقد أفصح في إشاراته عن قصر القلب وقصر التعيين بقوله: «(مررت برجل راكع لا ساجد) فالعطف بلا الناهية هنا أفاده لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما»[٣]. ولم أجد شواهد عند السَّمين الحلبي لهذه الأداة.

وحرف العطف (بل) من الحروف العوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نص على ذلك الرماني[٤]. وإذا جاءت في القرآن الكريم

---

(١) لسان العرب، مادة (أنن).

(٢) الدر المصون: ١/١١٩.

(٣) الكتاب: ١/٤٣٠، وينظر: أسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨.

(٤) ينظر: معاني الحروف، ص٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨-٩٩.

كانت تركاً لشيء وأخذاً في غيره، وأكثر ما تكون بعد الإنكار كقوله تعالى: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٠-٤١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بل إياه تدعون» «بَلْ» حرف إضراب وانتقال، لا إبطال، لما عَرَفْتَ غيرَ مَرَّةٍ من أنَّها في كلام الله كذلك. و«إيَّاه» مفعول مقدم للاختصاص عند الزمخشري، ولذلك قال: «بل تخصونه بالدعاء»... وإن كان ثَمّ حصرٌ واختصاص فمن قرينة أخرى»[1].

أما (لكن) العاطفة فتكون مثقَّلة ومخفَّفة، وذهب الرماني مفرقاً بين المخفَّفة والمثقَّلة قائلاً: «إن المخففة غير عاملة، والمثقلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد»[2]. وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وحكم المقصور عليه يكون بعدها ولا يعطف بـــ(لكن) إلاَّ بشروط ثلاثة وهي: أنْ يكون المعطوف مفرداً لا جملة. والثاني: ألا تكون مسبوقة بالواو مباشرة. والثالث: أنْ تكون مسبوقة بنفي أو نهي[3]. كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية ٤٦]، وقد فسّرها السَّمين الحلبي بالقول: «قوله: «التي في الصدور» صفة أو بدل أو بيان، وهل هو توكيد؛ لأنَّ القلوب لا تكون في غير الصدور، أو لها معنى زائد كما قال الزمخشري، الذي تعورف واعتقد أنَّ العمى في الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحرقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب

(١) الدر المصون: ٣/٦١.

(٢) معاني الحروف، ص١٣٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٣/٦١٧.

استعارة، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة، ونفيه عن الإبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفصل تعريف لتقدير أنَّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار»(1).

٤- القصر بتقديم ما حقه التأخير:

والمقصور عليه في هذه الطريقة هو اللفظ المتقدم، وليس ثمة أداة خاصة بالقصر كما هو الشأن في الطرق الثلاث الأولى وإنما يُفهم القصر من خلال هذا التقديم، قال السيوطي: «إذا تأمَّل مَنْ له الذوق السليم في مفهوم الكلام الذي فيه التقديم فهم منه القصر، وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلغاء كذلك»(2).

ومنه تقديم المفعول كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]، قال السَّمين الحلبي ذاكراً رأي الزمخشري: «قال الزمخشري: كأنَّه قيل: ولاَ أقولُ إلاَّ الحقَّ يعني أن تقديم المفعول أفادَ الحصرَ»(3).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: من الآية ٣١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «جنود ربك» مفعول واجب التقديم لحصر فاعله»(4).

وهذا ما ذكره الزمخشري وأبو حيان(5).

---

(١) الدر المصون: ٥/١٥٧، وينظر: الكشاف: ٣/١٦٣.

(٢) شرح عقود الجمان، ص٤٥، وينظر: البلاغة من منابعها، ص١٢٩.

(٣) الدر المصون: ٥/٥٤٦، وينظر: الكشاف: ٤/١١٠.

(٤) الدر المصون: ٦/٤١٨.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤/١١٠، والبحر المحيط: ٧/٣٩٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٦/٤٦٢.

المبحث السابع

الإيجاز والإطناب

◈ **أولاً: الإيجاز:**

الإيجاز في اللغة: قال صاحب اللسان: «وجز الكلام وجازه ووجزاً وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه اختصره. ويقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر»[1].

وهو في **الاصطلاح البلاغي**: وعرفه الرماني قائلاً: «البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ»[2].

وأسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغة العربية، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، إذ نقل الجاحظ قول صحار بن عياش العبدي، عندما سأله معاوية بن أبي سفيان: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال صحار: الإيجاز. ثم قال معاوية: وما الإيجاز؟ فأجاب: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ[3].

وقال أبو عبيدة فيه: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول»[4].

وقسم علماء البلاغة الإيجاز على إيجاز قصر وإيجاز حذف.

---

(١) لسان العرب، مادة (وجز).

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٤.

(٣) ينظر: البيان والتبيين: ٩٦/١.

(٤) مجاز القرآن: ١١١/١.

١- إيجاز القصر:

وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه[1]، أو هو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، وقد فُسِّرت جوامع الكلم في الحديث: (أُوتيتُ جُوامِعَ الكَلِمِ)[2] بأنها اجتماع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع حسن البيان والقدرة على الإيصال بأقرب طريق[3].

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى هذا النوع من الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ما غشيهم» فاعل غشيهم وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم إلى ما يقل لفظها ويكثر معناها أي: فغشيهم ما لا يعلم كنهه إلاَّ الله تعالى»[4].

وهذا رأي الزمخشري وأبي حيان والنيسابوري[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «وقال ابن عطية قوله: «ما لي لا أرى الهدهد» مقصد الكلام الهدهدُ غاب ولكنه أخذ اللازم

---

(١) ينظر: البيان والتبيين: ١٦/٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٧٤٠٣: ٣٦٦/١٢. وتكملة الحديث: «وَجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِداً وَطَهُورا».

(٣) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٥٦.

(٤) الدر المصون: ٤٥/٥.

(٥) ينظر: الكشاف: ٧٩/٣، والبحر المحيط: ٢٤٥/٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٦٣/٤.

عن مغيبه وهو أن لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز»[1]. وهذا ما ذكره القرطبي وأبو حيان[2].

٢- الإيجاز بالحذف:

وعرَّفه ابن الأثير بقوله: «ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلاَّ فيما زاد معناه على لفظه»[3]. وقال عنه: «أما الإيجاز بالحذف فإنَّه عجيب الأمر أشبه بالسحر، وذلك أنَّك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تبيِّن»[4].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فقال ذاكراً رأي الزمخشري وابن عطية: «فَسَّر الزمخشري هذا الموضع فقال: واشكروا لي ما أنعمت به عليكم. وقال ابن عطية: واشكروا لي، واشكروني بمعنى واحد، و«لي» أفصح وأشهر مع الشكر، ومعناه نعمتي وأيادِيْ، وكذلك إذا قلت: شكرتك فالمعنى شكرت لك صنيعك، وذكرته فحذف المضاف؛ إذ معنى الشكر ذكر اليد وذكر مسديهما معاً، فما حذف من ذلك فهو اختصاراً لدلالة ما بقي على ما حذف»[5].

---

(١) الدر المصون: ٣٠٤/٥، وينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٤/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٩/١٣، والبحر المحيط: ٦١/٧.

(٣) المثل السائر: ٧٨/٢.

(٤) المثل السائر: ٨١/٢.

(٥) الدر المصون: ٤١٢/١، وينظر: الكشاف: ٢٣٢/١، والمحرر الوجيز: ٢١٢/١.

وهذا ما نص عليه أبو حيان ناقلاً كلام الزمخشري[1].

◈ ثانياً: الإطناب:

الإطناب لغةً: جاء في اللسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»[2].

والإطناب **في اصطلاح البلاغيين**: عرَّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وأن يخبر المطلوبَ بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأنَّ كثرة الكلام عند المطلوب مقصوده، فإنَّ كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المُراد»[3].

واقترن موضوع الإطناب مع موضوعي الإيجاز والمساواة عند علماء البلاغة، وذلك لأنَّ فيها فوائد بلاغية جَمَّة، لذلك قالوا في تعريف البلاغة إنها إيجاز من غير خلل أو إطناب من غير خطل، ولذلك قال العسكري: «إنَّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن وجهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»[4].

وينبغي أن نفرق بين الإطناب وبين الحشو والتطويل، فالإطناب بلاغة

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/٦٢٠.

(٢) لسان العرب، مادة (طنب).

(٣) التعريفات، ص٢٥.

(٤) كتاب الصناعتين، ص١٩٠.

وليس التطويل كذلك، قال العسكري: «الإطناب بلاغة والتطويل عيٌّ؛ لأنَّ التطويل بمترلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب، والإطناب بمترلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة»[1].

وهناك أسباب تدفع المتكلم إلى سلوك الإطناب منها توضيح المراد، والتوكيد وتثبيت المعنى في نفس السامع ودفع الإيهام وغير ذلك، وقد حدَّد علماء البلاغة أنواع الإطناب ذكرها مفسرنا السَّمين الحلبي في تفسيره موضحاً لكل نوعٍ منها وهي كما يأتي:

١- الإيضاح بعد الإبهام:

ذكر القزويني أنَّ هذا النوع من الإطناب يؤتى به: «ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكُّنٍ، فإنَّ المعنى إذا ألقي مبهماً، تاقت نفس السامع إلى معرفته مبيناً، أو لتكمل لذة العلم به»[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «و«ذلك» إشارة إلى مبهم يُفسِّره «هو علي هين» ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]»[3].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[4].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٢) التلخيص، ص١٢٥.

(٣) الدر المصون: ٤/٤٩٣، وينظر: الكشاف: ٣/٨.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢١/١٦١، ومدارك التتريل: ٣/٣٢، والتسهيل لعلوم التتريل: ٢/١٥٥، والبحر المحيط: ٦/١٦٦، وأنوار التتريل: ٤/٧، وإرشاد العقل السليم: ٥/٢٥٧.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: من الآية ٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من الأرض» هذا بيان للإبهام الذي في قوله: «ماذا خلقوا»»[1].

وهذا قريب من رأي أبي حيان الذي قال: ««من الأرض» تفسير للمبهم في «ماذا خلقوا». والظاهر أنَّه يريد من أجزاء الأرض، أي: خلق ذلك إنَّما هو الله»[2].

٢- ذكر الخاص بعد العام:

قال القزويني في هذا النوع من الإطناب: «وأما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلةَ التغاير في الذات»[3].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «وذكر جبريل وميكال بعد اندراجهما أولاً؛ تنبيهاً عل فضلهما على غيرهما من الملائكة، وهكذا كل ما ذكر: خاص بعد عام، وبعضهم يسمي هذا النوع بالتجريد كأنَّه يعني به أنه جرد من العموم الأول بعض إفراده اختصاصاً له بمزية، وهذا الحكم -أعني الخاص بعد العام- مختص بالواو لا يجوز في غيرها من حروف العطف»[4].

---

(١) الدر المصون: ١٣٤/٦.

(٢) البحر المحيط: ٥٥/٨.

(٣) التلخيص، ص١٢٥.

(٤) الدر المصون: ٣١٥/١.

وقال ابن جزي: «... ذكرا بعد الملائكة تجديداً للتشريف والتعظيم»[1].
وقال الشوكاني: «وإنَّما خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد الملائكة لقصد التشريف لهما، والدلالة على فضلهما»[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» من باب ذكر الخاص بعد العام اعتناءً به»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

٣- ذكر العام بعد الخاص:

قال السيوطي فيه: «وأنكر بعضهم وجوده والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وإفراد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه»[4]. ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» بعد قوله: «ويعلمكم الكتاب والحكمة» من باب ذكر العام بعد الخاص، وهو قليل بخلاف عكسه»[5].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٥٥.

(٢) فتح القدير: ١/٨٣.

(٣) الدر المصون: ٢/١٨١.

(٤) الإتقان: ٣/١٨١.

(٥) الدر المصون: ١/٤١١.

وهذا قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «... وهو ذكر عام بعد خاص، لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب ولا الحكمة»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «ويعلم ما في السماوات وما في الأرض» من باب ذكر العام بعد الخاص وهو «ما في صدوركم»»[2].

وبين أبو السعود هذا العطف قائلاً: «كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريراً»[3].

وأمثلته متعددة[4].

٤- التأكيد:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: من الآية ٧٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بأيديهم» متعلق بيكتبون، ويبعُد جعله حالاً من «الكتاب»، والكتابُ هنا يعنى المكتوب، فنصبهُ على المفعول به، ويبعُدُ جعله مصدراً على بابه، وهذا من باب التأكيد فإنَّ الكتبة لا تكون بغير اليد، ونحوه: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ [سورة آل عمران: من الآية ١٦]. وقيل:

---

(١) البحر المحيط: ٦١٨/١، واللباب في علوم الكتاب: ٧٤/٣.

(٢) الدر المصون: ٦٢/٢.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢٣/٢.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٣٣٦/٦، و٥٨٥/٦.

فائدةُ ذكره أنَّهم باشروا ذلك بأنفسهم و لم يأمروا به غيرهم، فإنَّ قولك: فَعل فلان كذا يحتمل أنَّه أمر يفعله و لم يباشره، نحو: بنى الأمير المدينة، فأتى بذلك رفعاً لهذا المجاز. وقيل: فائدته بيانُ جرأتهم ومجاهرتهم، فإنَّ المباشر للفعل أشد مواقعةً ممن لم يباشره. وهذان القولان قريبان من التأكيد، فإنَّ أصل التأكيد رفع توهم المجاز»[1].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور بين المفسرين[2].

٥- التكرار:

وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرَّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفرّاء: «والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف»[3]. وإذا كان التكرار لغرض بلاغي فهو إطناب وإلا فهو مذموم؛ لأنه يقدح في الفصاحة. ويأتي التكرار لأغراض كثيرة أذكر منها ما جاء عند مفسرنا السَّمين الحلبي في تفسيره وهي:

أ – التكرار للتأكيد: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ميثاقاً غليظاً» هو الأول وإنَّما

(١) الدر المصون: ١/٢٧١.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/١٨٥، ومدارك التنزيل: ١/٥٤، والبحر المحيط: ١/٤٤٣، وأنوار التنزيل: ١/٣٥٠، واللباب في علوم الكتاب: ٢/٢٠٨، وإرشاد العقل السليم: ١/١٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٣/٢٨٧، وينظر: ١/١٧٧، ٢/٣٤٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٣٦.

كرر لزيادة صفته وإيذاناً بتوكيده»[1].

وذكر البيضاوي غرض التعظيم لهذا التكرار قائلاً: «والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيماً لهُ»[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «خلقهن العزيز» كَرَّرَ الفعل للتوكيد؛ إذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافياً كقولك: مَنْ قَامَ؟ فيقال: زيدٌ»[3].

وهو قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «وكرر الفعل في الجواب في قوله: «خلقهن العزيز العليم» مبالغة في التوكيد»[4].

وأمثلته متعددة[5].

ب- التكرار للمبالغة: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «وإنَّما كرر الفعل في قوله: «وما يستوي الأحياء» مبالغة في ذلك؛ لأنَّ المنافاة بين الحياة والموت أتم من المنافاة المتقدمة»[6].

---

(١) الدر المصون: ٥/٤٠٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/٣٦٥.

(٣) الدر المصون: ٦/٩٢.

(٤) البحر المحيط: ٨/٨.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١/١٩٧، و١/٤٢١-٤٢٢، و٢/٥١، و٣/٥٢.

(٦) الدر المصون: ٥/٤٦٥.

وهذا ما ذكره ابن عادل والشربيني والنيسابوري[1]، قال البيضاوي: «تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل»[2].

ج- التكرار للتقرير: نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، قال السَّمين الحلبي: «... والقول فيه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى... لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب»[3].

وهذا ما ذكره الزمخشري والرازي وغيرهم[4]، وذهب ابن عطية إلى غير هذا الغرض قائلاً: «وكرر تعالى ذلك مبالغة وتثبتاً للخير»[5] وتبعه ابن جزي[6]، وقال البيضاوي: «تكرير للتأكيد»[7].

د- التكرار للتعظيم: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/١٢٤، وتفسير السراج المنير: ٣/٢٦٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥/٥١٢.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/٤١٧.

(٣) الدر المصون: ٦/٥٤١.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤/٧٧٦، والتفسير الكبير: ٣٢/٧، وتفسير السراج المنير: ٤/٤٠٧، وإرشاد العقل السليم: ٩/١٧٣، وروح المعاني: ٣/١٧٠، وصفوة التفسير: ٣٠/١٧٠.

(٥) المحرر الوجيز: ٥/٤٦٨.

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/٣٣٧.

(٧) أنوار التنزيل: ٥/٥٠٥.

وَتَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وصدق الله ورسوله» مِنْ تكرير الظاهر تعظيماً كقوله:

أَرَى المَوْتَ لاَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ ....[(١)]

ولأنه لو أعادها مضمرين تجمع بين اسم البارئ تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقول وصَدَقَا والنبي ﷺ قد كَرِهَ ذلك...»[(٢)].

٦- الاحتراس أو التكميل:

وقال فيه القزويني: «الإطناب بالتكميل أو الاحتراس هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[(٣)]، ومفسرنا السَّمين الحلبي فهم هذا المصطلح البلاغي فقد قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٢٢]: «وقوله: «من غير سوءٍ» يسمى عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم من يتوهم غير المراد. وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق، فأتى بقوله: «من غير سوءٍ» نفياً لذلك»[(٤)]. وتعريف السَّمين الحلبي لا يخرج عن آراء علماء البلاغة وأقوالهم في تعريف الاحتراس.

وهو قريب من رأي أبي حيان الذي قال: «ويقال له عند أرباب البيان احتراس؛ لأنه لو اقتصر على قوله «بيضاء» لأوهم أنَّ ذلك من برص أو بهق»[(٥)].

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ٤١٠/٥.

(٣) الإيضاح: ٢٠٢/١.

(٤) الدر المصون: ١٥/٥.

(٥) البحر المحيط: ٢٢٢/٦.

وهذا ما ذكره الزركشي[1].

٧- التتميم:

عرفه القزويني بقوله: «هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة»[2].

وقد عرفها السَّمين الحلبي بقوله: «التتميم وهو نوع من علم البديع، وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى تدفع عنها اللبس وتقربها من الفهم»[3].

ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «العزة بالإثم» التتميم وهو نوع من علم البديع... وذلك أنَّ العزة تكون محمودة ومذمومة. فمن مجيئها محمودة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، فلو أطلقت لتوهم فيها بعض من لا عناية له المحمودة فقيل: «بالإثم» تتميماً للمراد فرفع اللبس بها»[4].

٨- الاعتراض:

جاء في اللسان: «يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه، واعترض فلان الشيء: تكلفه، واعترض عرضه: نحا نحوه، واعترض له بسهم:

---

(١) البرهان، ص٦٦٢.

(٢) الإيضاح: ١/١٩٤، والتلخيص، ص٢٣٠.

(٣) الدر المصون: ١/٥٠٧.

(٤) الدر المصون: ١/٥٠٧.

أقبل قبله فرماه فقتله»[1].

وهي عند البلاغيين: « أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة»[2].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة كثيرة للاعتراض في تفسيره أذكر منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، قال السَّمين الحلبي: «أما هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ جملة اعتراض؛ لأنَّ فيها تأكيداً وتسديداً للكلام، وجملةُ الاعتراض تقعُ بين الصفةِ وموصوفها كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ -لَّوْ تَعْلَمُونَ- عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٦] فـــ«عظيم» صفةٌ لـــ«قَسَم»، وقد فصل بينهما بقوله: «لو تعلمون» فكذلك فَصَلَ هنا بين قوله: «بقوم» وبين صفتهم وهي «أذلة- أعزة» بقوله: «يحبهم ويحبونه»، فعلى هذا لا يكون لها محلٌّ من الإعراب»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو السعود[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢]، قال السَّمين الحلبي:

(١) لسان العرب، مادة (عرض).

(٢) ينظر: الإيضاح: ١/١٩٤.

(٣) الدر المصون: ٢/٥٤٨.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٥٢.

«قوله: «والمؤمنون» عطفٌ على «الراسخون» وفي خبره الوجهان المذكوران في خبر «الراسخون»، ولكن إذا جعلنا الخبر «أولئك سنُؤتيهم» فيكون يؤمنون ما محلُّه؟ والذي يظهر أنَّه جملة اعتراض؛ لأنَّ فيه تأكيداً وتسديداً للكلام، ويكون الضمير في «يؤمنون» يعود على «الراسخون» و«المؤمنون» جميعاً»[1]. ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي. وأمثلته كثيرة[2].

◈ تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلاف ذلك لنكتة أو سبب من الأسباب. ولهذا الخروج أساليب مختلفة منها: وضع الظاهر موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمر،...[3] وتكون مراعاة لحال المخاطب.

١- وضع الظاهر موضع المضمر:

قال القزويني في معرض حديثه على هذا المصلح: «ويوضع المظهر موضع المضمر فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع... وإما للتهكم بالسامع... وإما للنداء على كمال بلادته... وإما لكمال فطانته... وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه

---

(١) الدر المصون: ٤٦١/٢.

(٢) ينظر: الدر المصون: ١٠٣/١، ١٣٩/١، ٢٧٢/١، ٣٢٠/١، ٣٤٣/١، ٥٧٣/١، ٧٥/٢، ١١١/٢، ٣٩١/٢، ٣٠٢/٣، ٩٦/٤، ٤٢٢/٥، ٨٧/٦، ٢٠٠/٦، ٢٦٣/٦، ٤٠٤/٦، ٥١٠/٦.

(٣) ينظر: شرح عقود الجمان، ص٢٧، وحلية اللب، ص٧٠، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٣/٢.

عن المضمر إما لزيادة التمكين.. وإما لإدخال الروع في نفس السامع وتربيته المهابة وإما لتقوية داعي المأمور»[1].

وقد أشار إليه السَّمين الحلبي بأمثلة كثيرة في تفسيره محللاً إياه وذاكراً لأغراضه البلاغية ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «على الذين ظلموا» فأعادهم بذكرِهم أولاً، ولم يقلْ «عليهم» تنبيهاً على أنَّ ظلمهم سببٌ في عقابهم، وهو من إيقاع الظاهر موضع المضمر لهذا الغرض»[2]. فذكر أنَّ غرض إيقاع الظاهر موضع المضمر هو التنبيه. وذكر أبو السعود غرض المبالغة قائلاً: «وإنَّما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله»[3].

وبعد ذلك بين السَّمين الحلبي أضرب إيقاع الظاهر موقع المضمر قائلاً: «وإيقاع الظاهر موقعَ المضمرِ على ضربينِ: ضربٍ يقع بعد تمامِ الكلام كهذهِ الآية -يقصد سورة البقرة: ٥٩- وقول الخنساء:

تَعَرَّقَنِي الدَّهرُ نَهْساً وحَزَّاً وأوجَعَني الدَّهرُ قَرعاً وغَمْزَا[4]

أي: أصابتني نوائبه جُمَعُ، وضربٍ يقعُ في كلامٍ واحد نحو قوله:

(١) الإيضاح: ٧٢/١، ومفتاح العلوم، ص٨٥، وكتاب الكليات، ص١٦٤٠.

(٢) الدر المصون: ٢٣٥/١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٠٥/١.

(٤) ديوانها، ص١٤٣.

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]. وقول الآخر:

ليتَ الغُرابَ غداةَ ينعَبُ دائِبـــاً　　　كان الغرابُ مُقطَّعَ الأوداجِ[1]

وقد جمع عديٌّ بنُ زيدٍ بين المعنيين فقال:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء　　　نغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقيرا[2]»[3]

ومن إيقاع الظاهر موقع المضمر لغرض التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «وتضمنت -أي هذه الآية الكريمة- من المعاني التوكيد: بإيقاع الظاهر موقع المضمر في قوله: «تؤتي الملك... الخ»[4].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومن إيقاع الظاهر موقع المضمر لغرض التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ [التوبة: من الآية ٦٩]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «كما استمتع الذين» إيقاعٌ للظاهر موقع المضمرِ لنكتةٍ: وهو أن كان الأصل: فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعونا بخلاقهم، فأبرزهم بصورة الظاهر تحقيراً لهم»[5].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه، ص٨٩.

(٢) ديوانه، ص٦٥.

(٣) الدر المصون: ١/٢٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢/٥٨.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٤٨٣.

وأمثلته كثيرة[1].

٢- وضع المضمر موضع الظاهر:

يوضع المضمر موضع الاسم الظاهر: «ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف يكون فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة»[2].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: من الآية ٦١]، قال السَّمين الحلبي: «والضمير في «منه» عائد على «شأن» و«من قرآن» تفسير للضمير وخصَّ من العموم؛ لأنَّ القرآن هو أعظم شؤونه ﷺ وقيل: يعود على التنزيل: وفسَّر القرآن؛ لأنَّ كل جزء منه قرآن، وإنَّما أضمر قبل الذكر تعظيماً له»[3].

وهذا ما ذكره أبو حيان[4].

وأمثلته متعددة[5].

٣- إشارة البعيد إلى القريب:

ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٤/١، ١٢٤/٢، ١٤/٣، ٢٧١/٣، ٤٦٦/٣، ٥٠٨/٣، ٤/٥، ٦١/٦، ٨٧/٦، ٢٠٢/٦، ٢٢٨/٦، ٣١٤/٦.

(٢) الإيضاح: ٧١/١، ومفتاح العلوم، ص٨٥، وكتاب الكليات، ص١٦٤٠.

(٣) الدر المصون: ٤٧/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٧١/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٣٦٢/١٠.

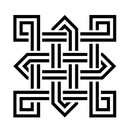
(٥) ينظر: الدر المصون: ٤١/٣، ١٨٦/٥، ١٣١/٦.

﴿وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «وأتى باسم إشارة البعيد تعظيماً للمشار إليه، لأنَّ المشار إليه قريب»[(١)].

وهذا قريب من رأي أبو حيان[(٢)].

ومن أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: من الآية ٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فذلكن» مبتدأ والموصول خبره، أشارت إليه إشارة البعيد، وإن كان حاضراً تعظيماً له ورفعاً منه»[(٣)].

وهذا ما ذكره أبو حيان[(٤)].



(١) المصدر نفسه: ١/٥٦٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢/٢٢١.

(٣) الدر المصون: ٤/١٨٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/٢٥١.

الفصل الثاني

علم البيان في تفسير السَّمين الحلبي

البيان لغةً: قال ابن منظور: «ما يبين به الشيء، من الدلالة وغيرها. وبانَ الشيء: اتَّضَحَ فهو بينٌ، واستَبان الشيء: ظَهَرَ. والبيانُ الفصاحةُ واللُّسْنُ، كلامٌ بيِّنٌ فصيحٌ. البيانُ الإفصاح مع ذكاء، والبَيِّنُ مِنَ الرجال: الفصيحُ والسَّمعُ واللسان، وفلان أبينُ من فلان أي: أفصح منهُ وأوضح كلاماً، والبيان: إظهار المقصود بأبلغِ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور»[1].

وقد ذكر لفظ البيان في القرآن الكريم في غير ما موضع كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٨].

أما مدلوله في البلاغة العربية فكان يراد بها المعاني العامة، قال الجاحظ: «البيان: اسم جامع لكل شيء كشف لكل قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأنَّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

---

(١) لسان العرب، مادة (بين).

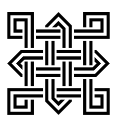
(٢) البيان والتبيين: ٧٩/١.

وجعل الجرجاني الفصاحة والبلاغة والبيان، تدل على معنى واحد أو متقارب، وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا، وتكلموا، وأخبروا السامعين عن مقاصدهم وأغراضهم وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[1].

وظل هذا المفهوم الواسع لكلمة (بيان)، حتى جاء السكاكي الذي غير هذا المعنى الواسع إلى المعنى العلمي الاصطلاحي، فهو أول من حدد أو قسم علوم البلاغة على المعاني والبيان، وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية، وذلك في كتابه (مفتاح العلوم)، وقد قال في تعريف البيان: «أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2].

وهكذا أخذ البيان عند السكاكي صورة علمية وصار يدلُّ على التشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان مفهوماً عاماً وشاملاً.

وقد تناول مفسرنا السَّمين الحلبي علم البيان بالتحليل والدراسة ذاكراً أنواعه من التشبيه والمجاز بنوعيه العقلي والمرسل والاستعارة والكناية.



(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٣٥.

(٢) مفتاح العلوم، ص٧٧.

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً: قال ابن منظور: «الشَّبه والشَبيه المثل، أشبه الشيء، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليَّ، وتشابه الشيئانِ واشتبها: أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل»[1].

التشبيه اصطلاحاً: هو عقد مشابهة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر، وَحدَّه السكاكي بقوله: «إنَّ التشبيه مستدع طرفين مشبَّهاً ومشبَّهاً به، واشتركا فيهما من وجه وافترقا من آخر»[2].

وقد ذكر القزويني تعريفاً دقيقاً للتشبيه قائلاً: «التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى»[3].

والتشبيه من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوته من الخيال[4]. وتأتي أهميته البلاغية أنه يخرج الخفيَّ إلى الواضح ويجعل البعيد قريباً.

ولا شك أنَّ السَّمين الحلبي من كبار علماء اللغة والتفسير، إلاَّ أنه لم يكن متأثراً بأسلافه وأقرانه من العلماء، من حيث التفصيل في فروع التشبيه وأقسامه المتعددة. فقد كان في تناوله للتشبيهات الموجودة في القرآن الكريم فَصَّلَ فيها بشيء من التوضيح من خلال تفسيره للآيات التي تنطوي على هذا

---

(١) لسان العرب، مادة (شبه).

(٢) مفتاح العلوم، ص١٥٧.

(٣) الإيضاح: ٢/٢١٢، والتلخيص، ص٢٣٨.

(٤) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، ص١٠٦.

اللون من البيان العربي.

١- التشبيه التمثيلي:

ورد التشبيه التمثيلي في مواضع متعددة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «كأنما» «ما» هذه مهيئة لدخول «كأنَّ» على الجمل الفعلية، كما في: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]. وقرأ ابن كثير «يَصْعَدُ» ساكن الصاد مخفف العين، مضارع «صَعَدَ»، أي: ارتفع، وأبو بكر عن عاصم «يصَّاعَدُ» بتشديد الصاد بعدها ألف، وأصلها: «يتصاعد» أي: يتعاطى الصعود ويتكلفه، فأدغم التاء في الصاد تخفيفاً، والباقون: «يَصَّعَّدُ» بتشديد الصاد والعين دون ألف بينهما من «يَصْعَدُ»، أي: تفعل الصعود وتكلفه، والأصل: «يَتَصَعَّد» فأدغم، كما في قراءة شعبة. وهذه الجملة التشبيهية يحتمل أن تكون مستأنفة شبه فيها حال من جَعَلَ اللهُ صدرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً، بأنَّه بمنزلة من يطلب الصعود إلى السماء المطلقة، أو إلى مكان مرتفع وعر، كالعقَبَة الكَؤُود»(١).

وقال البغوي: «يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة»(٢). فقد ربط البغوي بين استحالة الصعود إلى السماء

---

(١) الدر المصون: ١٧٧/٣، وينظر: النشر: ٢٩٦/٢، وإتحاف فضلاء البشير، ص٣٨٤.

(٢) معالم التنزيل: ١٨٦/٣، وتفسير السراج المنير: ٣٥٦/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٧٧/١.

باستحالة الإيمان. وهذا المعنى لم يشهد به السَّمين الحلبي؛ لأنَّ القصد من الصورة هو تصوير الضيق والضجر الذي يصيب صدر الضال، فمثله كمثل الذي يرفع إلى مكان شاهق فيكاد يضيق نفسه ويختنق وهو دلالة على الضيق والضجر.

ومن التشبيه التمثيلي أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي محللاً التشبيه: «وقوله: «مثل الفريقين»، يجوز أن يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين، فقابل الأعمى بالبصير والأصم بالسميع، وهو من الطباق، وأن يكون من تشبيه شيء واحد بوصفيه بشيء واحد وحينئذٍ يكون قوله: «كالأعمى والأصم»، وقوله: «والبصير والسميع» من باب عطف الصفات كقوله:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ ... ولَيْثِ الكَتيبَةِ في المُزدحَم[1]»[2]

ويستعين السَّمين الحلبي بشرح الزمخشري لهذا التشبيه قائلاً: «وقد أحسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال: شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريقين تشبيهين اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعنّاب، وأن يشبه بالذي جمع بين العمى والصم، أو كالذي جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في «والأصم» والكافرين الذين هما مشابهان بقوله: «الفريقين»، ولو فسَّرهما لقال: مثل الفريقين المؤمن كالبصير، ومثل الكافر كالأعمى والأصم، وهي عبارة مشهورة في علم البيان لفظتان

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ٨٩/٤، وينظر: الكشاف: ٣٦٧/٢.

متقابلتان اللف والنشر»[1].

وهذا رأي أبي حيان والشوكاني وغيرهم[2].

وأطلق السَّمين الحلبي أحياناً اسم التمثيل على التشبيه سائراً في ذلك على نهج المفسرين الذين سبقوه، ذاكراً أن تصاريف الكلام تدور على أن المثل التشبيه أي بمعنى: مِثْل ومثيل نحو: شِبْه وشبيه[3]. وذكر معنى المثل في الاصطلاح في كلام العرب قائلاً: «إنَّها كلمةٌ يرسلُها قائلها لحكمةٍ يُشَبِّه بها الأمور ويقابِلُ بها الأحوال»[4].

وفرق طائفة من البلاغيين والجرجاني منهم بين التشبيه والتمثيل قائلاً: «اعلم أنَّ التشبيه أو التمثيل أخصُّ منه فكلُّ تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»[5]. أما السكاكي فيرى أن التمثيل: «ما كان الشبه فيه وصفاً غير حقيقي منتزعاً من أمورٍ عدَّة خص باسم التمثيل»[6].

وقد يجمع بين التشبيه والتمثيل أو تسمية التشبيه تمثيلاً، وذلك في مثل تفسير قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «قوله: «رؤوس الشياطين» فيه وجهان:

---

(١) المصدر نفسه: ٨٩/٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢١٤/٥، وفتح القدير: ٧١٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٤/١٠.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١١٩/٢ و١٢٩/١.

(٤) الدر المصون: ١١٩/٢، وينظر: المخصص: ٣٧٣/٣.

(٥) أسرار البلاغة، ص٧٥.

(٦) مفتاح العلوم، ص٣٤٦.

أحدهما: أنّه حقيقةٌ ورؤوسَ الشياطين شَجَرٌ بعينه بناحية اليمنِ يسمى الأسْتَنُ وقد ذكره النابغة:

تَحيدُ عن أستَنٍ سودٍ أسَــلِفُلُةٌ   مثلُ الإماءِ الغوادِي تحملُ الحُزَمَا[1]

وهو شجرٌ مُرٌّ منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القُبحِ ثم صار أصلاً يُشبه به. وقيل الشياطين صنف من الحيَّاتِ... وقيل هو شجر يُقال له الصَّومُ... وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة.

والثاني: أنَّه من باب التخييل والتمثيل، وذلك أنَّ كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصور يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره؛ والشياطين وإن كانوا موجودين غير مرئيين للعرب إلاَّ أنَّه خاطبهم بما ألِفوهُ من الاستعارات التخييلية...»[2].

٢- التشبيه المركب:

وهو التشبيه الذي يتحد فيه المشبه والمشبه به ويكون مركباً من شيئين أو أكثر. وهو غير التشبيه المتعدد الذي يكون جمعاً للصور التشبيهية من غير تركيب[3].

لقد تناول السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في تفسيره محللاً له وذاكراً أنواعهُ، وهذا يدل على فهمه لأنواع التشبيه، فيقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: من الآية ٢٤]: «قوله: «إنَّما مثل». هذه الجملة سيقت لتشبيه الدنيا

---

(١) ديوانه، ص٦٥.

(٢) الدر المصون: ٥/٥٠٦.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة، ص١٧٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٠١.

بنبات الأرض، فقد شرح الله -تعالى- وجه التشبيه بما ذكر»[1]. وهو بعد ذلك يذكر رأي الزمخشري في الآية قائلاً: «قال الزمخشري: هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التفَّ وتكاثَفَ»[2].

وهذا رأي أغلب المفسرين[3].

وبعد هذا التفسير يُبين السَّمين الحلبي التشبيه المركب وأنواعه مستعيناً بالشعر قائلاً: «قلت: التشبيه المركب في اصطلاح البيانيين: إما أن يكون طرفاه مركبين أي: تشبيه مركب بمركب كقول بشار بن برد:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسِنَا وأسيافَنَا ليلٌ تهاوى كَواكِبُهْ[4]

وذلك أنَّه شبه الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم بليل سقطت كواكبه، وإما أن يكون طرفاه مختلفين بالإفراد والتركيب»[5].

ويذكر السَّمين الحلبي مثالاً آخر يكون من التشبيه المركب ويكون أيضاً من التشبيه المفرق[6] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

---

(١) الدر المصون: ٤/ ٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٠، وينظر: الكشاف: ٢/ ٣٢٥.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/ ٥٧٤، والبحر المحيط: ٥/ ١٤٤، ومدارك التنزيل: ٢/ ١٢٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٢٩٩.

(٤) ديوانه: ١/ ٣١٨.

(٥) الدر المصون: ٤/ ٢٠.

(٦) هو ما أتى بالمشبه والمشبه به واحداً بعد الآخر. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/ ٢١٣).

ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: من الآية ٣١]، قال السَّمين الحلبي مستنداً إلى قول الزمخشري: «قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المُركب والمُفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنَّه يقال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك. بأن صور حاله بصورة حال من خَرَّ من السماء فاختطفته الطير فتفرق مُزَعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هَوَت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقاً، فقد شبه الإيمان في عُلوِّه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهوال التي تتورع أفكارهُ بالطير المختطِفَة، والشيطان الذي يَطُوحُ به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي به بما عصفت به في بعض المهاوي المُتلِفة، قلت وهذه العبارة من أبي القاسم مما ينشطك إلى تعلم علم البيان فإنَّها غاية في البلاغة»[١].

٣- التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه[٢]، على أن يكون المشبه به خبراً عن المشبه، أو في حكم الخبر، أو مصدراً مبنياً للنوع، أو يكون المشبه به مضافاً إلى المشبه، وهذا النوع من التشبيه يأخذ المكان الأسمى بين أنواعه، ويسمى التشبيه البليغ، لأنَّ المشبه يصير عين المشبه به بلا تفاوت، وهذا أدعى للمبالغة والتوكيد. وهو مأخوذ من المبالغة بمعنى الحسن واللطف[٣].

---

(١) الدر المصون: ١٤٦/٥-١٤٧، وينظر: الكشاف: ١٥٧/٣.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٨٠/٢.

(٣) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، ص٣٧-٣٨.

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٧]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا من أحسن التشبيهات إذ شَبَّه بياض النهار بخيط أبيضَ، وسوادَ الليل بخيطٍ أسودَ، حتى إنَّه لما ذَكَرَ عَديٌّ بن حاتم لرسول الله ﷺ أنَّه فهم من الآية حقيقة الخيط تعجب منه، وقال: «إنَّ وسادَك لعريض»[1] ويروى: «إنَّك لعريض القفا»... وهذا النوع من التشبيه من الاستعارة، لأنَّ الاستعارة هي أنْ يُطوى فيها ذكرُ المُشَبَّه، وهنا قد ذُكِرَ وهو قوله: «من الفجر»، ونظيره قولك: (رأيت أسداً من زيد) لو لم تذكر: (من زيد) لكان استعارةً. ولكنَّ التشبيه هنا أبلغ، لأنَّ الاستعارة لابد فيها من دلالةٍ حاليةٍ، وهنا ليس ثَمَّ دلالةٌ»[2].

وهذا الرأي ذكره أغلب العلماء[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فتثير» عطف على «أرسل»؛ لأنَّ أرسل بمعنى المستقبل، فلذلك عطف عليه، وأتى بأرسلَ لتحقق وقوعه و«تثير» لتصور الحال واستحضار الصورة البديعية كقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب (الصيام)، باب (بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...): ١٠٩٠: ٧٦٦/٢.

(٢) الدر المصون: ٤٧٥/١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٣٩/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥١٤/١، والبحر المحيط: ٢١٦/١، ونظم الدرر: ٨٧/٣، وأسرار البلاغة، ص٢٧٨.

مُّخۡضَرَّةًۚ﴾ [الحج: من الآية ٦٣]... والإشارة إلى إحياءِ الأرضِ بالمطرِ، والتشبيه واضحٌ بليغٌ»[١].

وقال أبو حيان: «والتشبيه وقع لجهات لما قبلت الأرض الميتة الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة، أو كما الريح يجمع قطر السحاب، كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء، أو كما يسوق الرياح والسحاب إلى البلد الميت، يسوق الروح والحياة إلى البدن»[٢].

٤- تشبيه صورة بصورة:

قال ابن الأثير الحلبي: «إنَّ التشبيه لا يخلو من ثلاثة أحوال: تشبيه معنى بصورة وتشبيه معنى بمعنى، وتشبيه صورة بصورة كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤] فشبَّه صورة أجسام الفلك في عظمها بالجبال»[٣].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «وهي دخان» من باب التشبيه الصوري؛ لأنَّ صورتها صورة الدخان في رأي العين»[٤].

وقال ابن عاشور: ««وهي دخان» تشبيه بليغ أي: وهي مثل الدخان»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٤٦٠/٥.

(٢) البحر المحيط: ٢٨٨/٧.

(٣) جوهر الكتر، ص٦٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٩٥/٢.

(٤) الدر المصون: ٥٨/٦.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٠/٢٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٠٨/١٧.

٥- **تشبيه المعقول بالمحسوس:**

هو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا التشبيه أحد الأقسام، وهو تشبيه أمر معقول بأمر محسوس، وذلك أنَّه شبه عمى البصيرة بعمى البصر، وصم السمع ذاك متردد في ظلم الضلالات، كما أنَّ هذا متحيز في الطرقات، وهذه فوائد علم البيان»[2].

وهذا ما ذكره أبو حيان[3].

◈ مجيء الكاف صفة أو حالاً:

وردت الكاف في القرآن الكريم في آيات كثيرة، والكاف بلاغياً أداة رئيسة من أدوات التشبيه وأعربها النحويون بحسب معناها في طائفة من الآيات صفة أو حالاً معتمدين على وجهة نظرهم المعنوية للآية.

وقد ذكر السَّمين الحلبي بعض المواطن للكاف منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ [النساء: من الآية ٧٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كخشية الله» فيه ثلاثةُ أوجه، أحدها: وهو المشهور عند المُعربين: أنَّها نعت لمصدر محذوف، أي: خشيةً كخشية الله... قال الزمخشري: فإن قلت لِمَ عَدَلْتَ عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر و لم تقدِّرْه:

(١) حسن التوسل، ص١٠٨، ونهاية الإرب: ٤٠/٧، وخزانة الأدب، ص١٨٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٠٦/٢.

(٢) الدر المصون: ٩٠/٤.

(٣) البحر المحيط: ٢١٤/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٥/١٠.

يخشون خشيةً مثل خشية الله بمعنى: مثل ما يخشى الله. قلت: أين ذلك قوله: «أو أشد خشية»؛ لأنَّه وما عُطِفَ عليه في حكمٍ واحد، ولو قلت: «يخشون الناسَ أشدَّ خشيةً» لم يكن إلاَّ حالاً من ضمير الفريق، ولم ينتصب انتصابَ المصدر؛ لأنَّك لا تقول: «خَشِي فلانٌ أشدَّ خشيةً» فتنصِبُ «خشية» وأنت تريد المصدر، إنَّما تقول: «أشد خشيةٍ» فتجرها، وإذا نصبتها لم يكن «أشدَّ خشيةً» إلاَّ عبارة عن الفاعلِ حالاً منه، اللهم إلاَّ أن تجعل الخشية خاشيةً على حد قولهم: «جَدَّ جَدُّه» فتزعم أن معناه: يخشون الناسَ خشيةً مثل خشية أشدَّ خشيةً من خشية الله، ويجوز على هذا أن يكون محلُّ «أشدُّ» مجروراً عطفاً على «خشية الله» تريد كخشية الله أو كخشية أشدَّ منها»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: من الآية ٧١]، فذكر البقاعي وجهين في تفسير كاف التشبيه ودلالة كل وجه من دون الترجيح بينهما قائلاً: «قوله: «كالذي استهوته» في هذه الكاف وجهان، أحدهما: أنه نعت مصدر محذوف أي: نُرَدُّ رَدّاً مثل ردَّ الذين. والثاني: أنها في محل نصب على الحال من مرفوع «نرد» أي: نُرَدُّ مشبهين الذي استهوته الشياطين، فمن جوَّز تعدُّدَ الحال جعلها حالاً ثانية إن جعل «على أعقابنا» حالاً، ومَنْ لم يُجوِّز ذلك جعل هذه الحال بدلاً من الحالِ الأولى، أو لم يجعل «على أعقابنا» حالاً، بل متعلِّقاً بـــ«نرد»»[2].

وهذا ما ذهب إليه ابن جزي[3].

---

(١) الدر المصون: ٢/٣٩٦-٣٩٧، وينظر: الكشاف: ١/٥٦٨، والبحر المحيط: ٣/٣١٠.

(٢) الدر المصون: ٣/٩٣-٩٤.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٣٦٥.

المبحث الثاني

المجاز

المجاز لغةً: قال ابن منظور: «جِزْتُ الطريق وجَازَ الموضِعُ جَوازاً، وجازَ بِهِ وجَاوزَه وأجازَهُ غيرَهُ وجازَهُ وجاوَزَهُ وأجازَ غيرُه، وجازَهُ: سارَ فيهِ وسَلَكَهُ وجاوزت الموضِعَ جوَازاً بمعنى جزتَهُ. والمجازُ والمجازَةُ الموضِعُ»[1].

وفي الاصطلاح فقد عرَّفه الجرجاني قائلاً: «المجاز مِفْعَل من جازَ الشيءَ يجوزَه إذا تَعدَّاه، وإذا عَدَلَ باللفظِ عمَّا يوجبه أهل اللغة وصفه بأنَّه مجاز على معنى أنَّهم جاوزوا به موضِعَهُ الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع أولاً»[2].

وقال أيضاً: «أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز به إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»[3].

وعرَّف السكاكي المجاز بقوله: «وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع»[4].

---

(١) لسان العرب، مادة (جوز).

(٢) أسرار البلاغة، ص٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

(٤) مفتاح العلوم، ص٣٥٩.

◈ أقسام المجاز عند البلاغيين:

قسَّم البلاغيون المجاز على قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي، ويعد الإمام عبد القاهر الجرجاني أول مَنْ وقف عليه، وقسَّمه هذا التقسيم، فالعقلي هو الذي يعتمد على الإسناد، واللغوي نوعان: الأول: يقوم على المشابهة، وهو ما يسمى بالاستعارة، والثاني: يقوم على صلة وملابسة ما نقلهما إليه وما نقله عنه، ويسمى هذا بالمجاز المرسل(١).

◈ أقسام المجاز:

أولاً: المجاز العقلي:

وهو من الألوان البلاغية التي أشار القدماء إلى معناه، من دون ذكر اسم هذا المجاز، فسيبويه أورد قول الخنساء المتضمن المجاز العقلي:

ترعى إذا نسيت حتى إذا أدركَتُ فإنَّما هـي إقبـالٌ وإدبـارٌ

وكقولهم: (نهارك صائم) و(ليلك قائم)(٢). فسيبويه يحمل هذا الكلام على السِّعة والحذق.

وإذا ما عدنا إلى الأمثلة السابقة وجدنا أنَّ النهار أُسند إليه الصيام مجازاً على الرغم من أنَّ الصيام يجب أن يسند إلى الكاف أي: الصائم أو الإنسان، وكذلك ليلك قائم فالقيام للإنسان وليس لليل.

وكان الجرجاني أول من أطلق عليه هذه التسمية قائلاً: «كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول فهي مجاز»(٣)،

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص٣٧٦.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/١٦٩، و٨٠، ٨٩، ١٠٨، ١١٠.

(٣) أسرار البلاغة، ص٣٥٦.

وذكر تسميته باسم المجاز العقلي، أو المجاز الحكمي، أو المجاز في الإثبات، أو الإسناد المجازي، ذاكراً أمثلة على ذلك وناقشها، وبيَّن فيها مواضع المجاز[1].

والمشهور من بين هذه التسميات عند علماء البلاغة هو (المجاز العقلي)، وقد أطلق عليها السكاكي المجاز العقلي، وكذلك فعل القزويني والتفتازاني[2].

قال القزويني فيه: «فهو إسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو له بتأوّل»[3]، وذكر هذه الملابسات قائلاً: «وللفعل ملابسات شتى، يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب»[4]، وهذه الملابسات هي علاقات المجاز العقلي.

◈ علاقات المجاز العقلي عند السَّمين الحلبي:

تناول السَّمين الحلبي في تفسيره علاقات المجاز العقلي بأنواعها المختلفة والتي ذكرها علماء التفسير والبلاغة الذين سبقوه، وذكر لها أمثلة وافية مع الدقة في التحليل والتوضيح، وهذا يدل على فهمه الدقيق لعلاقات المجاز العقلي، وهي:

١- المفعولية (ما بني للفاعل وأسند إلى المفعول):

أشار السَّمين الحلبي إلى هذه العلاقة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: من الآية ٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «أنَّ

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢٢٧، وأسرار البلاغة، ص٣١٦-٣١٧.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٨٥، والإيضاح: ٩٧/١، وتهذيب السعد: ٩٥/١.

(٣) الإيضاح: ٢٢/١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٢/١.

«عَاصِمَ» بمعنى معصوم، وفاعل قد يجيء بمعنى مفعول نحو: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: من الآية ٦]، أي: مدفوق، وأنشد:

بَطِيءُ القيـــام رَخِـــيمُ الكَـــلا   مِ فأمسَى فُؤادِي بِـــهِ فَاتِنَـــا[1]

أي: مفتوناً، و«من» يراد بها المعصوم، والتقدير: لا معصوم اليوم من أمر الله إلاَّ من رحمه الله، فإنه يعصم»[2]. وهذا ما قاله أكثر المفسرين[3].

٢- الفاعلية (ما بني للمفعول وأسند إلى الفاعل):

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «مستوراً»... أنه بمعنى فاعل كقولهم: مَشْئومٌ، وميمونٌ، بمعنى: شائم ويأمن. وهذا كما جاء اسم الفاعل بمعنى مفعول»[4].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[5].

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ٤/١٠٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/١٩٠، وإرشاد العقـل السـليم: ٤/٢١١، والكـشاف: ٢/٣٧٥، ومدارك التتريل: ٢/١٥٥، والكشف والبيان: ٥/١٧١، والبحر المحـيط: ٥/٢٢٧، والتسهيل لعلوم التتريل: ١/٤٩٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/٤٩٦.

(٤) الدر المصون: ٤/٣٩٥.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١٧/٤٥٧، المحرر الوجيز: ٣/٤٧٤، ومعالم التتريل: ٥/٩٧، وإرشاد العقل السليم: ٥/١٧٥، وتفسير القـرآن العظـيم: ٥/٨٢، والـوجيز للواحدي: ١/٦٣٦، والبحر المحيط: ٦/٣٩، وإملاء ما من به الـرحمن: ٢/٩٢، وتفسير الجلالين: ١/٣٧٠، والمزهر: ١/٢٦٧، واللبـاب في علـوم الكتـاب: ١٢/٤٠١، وأيسر التفاسير: ٣/١٩٩.

٣- الزمانية (ما بني للفاعل وأسند إلى الزمان):

ومن أمثلة هذه العلاقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أليم» إسناد الألم إلى «اليوم» مجازاً لوقوعه فيه لا به. وقال الزمخشري: «فإذا وصف به العذاب» قلت: مجاز، لأنَّ الأليم في الحقيقة هو المعذب، ونظيرهما قولك: نَهَارُكَ صَائِمُ»[١].

ويضيف السَّمين الحلبي على ما سبق، وما نقله من أبي حيان قائلاً: «قال الشيخ: وهذا على أن يكون «أليم» صفة مبالغة من «آلم» وهو من كثرة ألمه، وإن كان أليم بمعنى مؤلم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب حقيقة»[٢]. وهذا رأي أبي السعود والبيضاوي والنسفي[٣].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: من الآية ٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بل مكر الليل» يجوز رفعه من ثلاثة أوجه: أحدها: الفاعلية تقديره بل صدَّنا مكركُمْ في هذين الوقتين. الثاني: أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي: مَكْرُ الليل صَدَّنا. الثالث: العكس أي: سَبَبُ كُفرِنَا مكركم وإضافة المكر إلى الليل والنهار إما على الإسناد المجازي كقولهم: ليلٌ ماكرٌ، فيكون مصدراً مضافاً لمرفوعه وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون

(١) الدر المصون: ٩١/٤، وينظر: الكشاف: ٣٦٧/٢.

(٢) الدر المصون: ٩١/٤، وينظر: البحر المحيط: ٢١٤/٥.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٠٠/٤، وأنوار التنزيل: ٢٢٩/٣، ومدارك التنزيل: ١٥١/٢.

مضافاً لمنصوبه. وهذان أحسن مِنْ قولِ مَنْ قال إنَّ للإضافة بمعنى: في أي في الليل، لأنَّ ذلك لم يثْبُتْ في غير محل التزاع»[1].

وهذا رأي أبي السعود والزمخشري وغيرهم[2].

٤- المكانية (ما بني للفاعل وأسند إلى المكان):

نحو قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «تجري من تحتها الأنهار»... والنهر دون البحر وفوقَ الجدولِ، وهل هو مجرى الماء أو الماءُ الجاري نفسه؟ والأول أظهر، لأنَّه مشتقٌّ من نَهَرْت أي: وسَّعتُ، قال قيس بن الخطيم يصفُ طعنة:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها[3] ....

أي: وسَّعْتَ، ومنه: النهارُ لاتساع ضوئه، وإنَّما أُطلقَ على الماءِ مجازاً إطلاقاً للمحلِّ على الحالِّ»[4].

وقال البغوي: «أي: المياه في الأنهار؛ لأنَّ النهر لا يجري»[5]، وصرح أبو السعود بلفظ المجاز العقلي بقوله: «وقد أسند إليها الجريان مجازاً عقلياً»[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٤٨/٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٤/٧، والكشاف: ٥٩٤/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٥٢/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٦٩/١٦.

(٣) ديوانه، ص١٨، وعجزه: يرى قائمٌ من دونها ما وراءها.

(٤) الدر المصون: ١٥٩/١.

(٥) معالم التتريل: ٧٣/١.

(٦) إرشاد العقل السليم: ٦٩/١، وينظر: أنوار التتريل: ٢٤٦/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: من الآية ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «... المسموع كون القرى يراد بها أهليها من باب إطلاق المحل على الحال»[١]. وهذا رأي أكثر المفسرين[٢].

وأمثلته متعددة[٣].

٥- المصدريّة (ما بني للفاعل وأسند إلى المصدر مجازاً):

نحو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بشيء» متعلقٌ بـــ«يحيطون» والعلمُ هنا بمعنى المعلوم؛ لأنَّ علمَه تعالى الذي هو صفة قائمة بذاته المقدَّسة لا يتبعَّضُ، ومن وقوع العلم موقعَ المعلوم قولهم: (اللهم اغفر لنا عِلمَك فينا) وحديث موسى والخضر -عليهما السلام- «ما نَقَص علمي وعلمك من علمه إلاَّ كما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[٤] ولكون العلم بمعنى المعلوم صح دخول التبعيض، والاستثناء عليه»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٤/٧٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٤/١٥١، والتفسير الكبير: ١٧/١٣٢، والكشاف: ٢/٣٥٢، وأنوار التنزيل: ٣/٢١٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٦١٣، والتسهيل في علوم التنزيل: ١/٤٩٠، وتفسير الجلالين: ١/٨١، وتفسير السراج المنير: ٢/٣٢، وفتح القدير: ٢/٦٨٦، واللباب في علوم الكتاب: ١/٤١٤.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٥/١٧٦، ٦/١٤٩، و٦/٥٤٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب (العلم)، باب (ما يستحب للعالم إذا سئل الناس أعلم...): ١٢٢: ١/١٢٧.

(٥) الدر المصون: ١/٦١٤.

وقال القرطبي: «العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته»[1] وهذا ما ذكره بعض المفسرين[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«ربنا» فاعل بـــ«تعالى» وهو المنقول من الفاعلية؛ إذ التقدير: تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جداً. أي: عظمة، نحو: تصبب زيد عرقاً. أي: عرق زيد»[3].

وقال البقاعي: ««جد» أي: عظمة وسلطان وكمال غنى»[4]، وهذا رأي الشربيني وابن عادل[5].

٦- السببيّة (ما بني للفاعل وأسند إلى السبب مجازاً):

كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والشراءُ هنا مجازٌ من الاستبدال بمعنى أنَّهم لما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة، جُعِلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثم رُشِّح هذا المجازُ بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ فأسند الربح إلى التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم، ونظيرُ هذا الترشيح قول الآخر:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٦/٣.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ١٢٤/١، وفتح القدير: ٤١٠/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٢١/٤، وروح المعاني: ١٢/٣، والتحرير والتنوير: ٤٩٧/٢.

(٣) الدر المصون: ٣٩٠/٦-٣٩١.

(٤) نظم الدرر: ١٩٣/٨.

(٥) ينظر: تفسير السراج المنير: ٢٩٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤١٣/١٩.

بكَى الخزُّ من روحٍ وأنكرَ جلدَه وعجَّتْ عجيجاً مِنْ جُذامَ المَطارِفُ[(1)]

لما أسند البكاء إلى الخَزِّ من أجل هذا الرجل -وهو رَوْحٌ- وإنكاره لجلده مجازاً رشحه بقوله: «وعَجَّت المَطارِف من جُذام» أي: استغاثت الثياب من هذه القبيلة.

وقول الآخر:

ولَمَّا رأيتُ النَّسرَ عَزَّ ابنُ دايَـــةٍ وعَشَّشَ في وكرَيْهِ جاشَ لهُ[(2)]

لما جعل النسر عبارة عن الشيب، وابن داية وهو الغراب عبارة عن الشباب مجازاً رشَّحه بقوله: «وعَشَّشَ في وكريه»»[(3)].

وهذا رأي ابن عطية الذي قال: «وقوله: «فما ربحت تجارتهم» للمثل بما يشبه مبدأه في لفظة الشراء وأسند الربح إلى التجارة كما قالوا ليلٌ قائمٌ ونهارٌ صائم، والمعنى فما ربحوا في تجارتهم»[(4)]، وبهذا الرأي قال أكثر المفسرين[(5)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، قال السَّمين الحلبي: «وعزم الأمر على

(١) البيت لحميدة بنت النعمان، ينظر: البيان والتبين: ١/١٥٣.

(٢) البيت لابن المعتز، وهو في ديوانه: ٢/٤٣.

(٣) الدر المصون: ١/١٢٧-١٢٨.

(٤) المحرر الوجيز: ١/٨٦.

(٥) ينظر: معالم التنزيل: ٦٨٨، والجامع لأحكام القرآن: ١/٢١١، ومدارك التنزيل: ١/٢١، ولباب التأويل: ١/٣٥، والتسهيل في علوم التنزيل: ١/٧٣، وبحر العلوم: ١/٥٥، وزهرة التفاسير: ١/١٤٠، والتحرير والتنوير: ١/٢٩٥.

سبيل الإسناد المجازي»[1].

وهذا رأي أغلب المفسرين[2]، قال الزمخشري: «أي: جدّ. والعز والجد لأصحاب الأمر. وإنما يسندان إلى الأمر إسناداً مجازياً»[3].

وأمثلته متعددة[4].

ثانياً: المجاز اللغوي:

وهو على نوعين:

أ - الاستعارة:

وهي لغةً: مأخوذة من العارية أي: نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المُعار إليه. والعارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء أعارَهُ منه عاوَرَهُ إيَّاه. والمُعاوَرة والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين. وتعوَّر واستعار: طلب العارية[5].

ومن استقراء ما أثر عن علماء البيان نرى -فيما نعلم- أن أول من سبق إليها وأطلق عليها اسم الاستعارة هو أبو عمرو بن العلاء. قال ابن رشيق: «وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة يقصد قول

---

(١) الدر المصون: ٦/١٥٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨/٩٨، والتفسير الكبير: ٢٨/٥٥، ومدارك التتريل: ٥/١٩٤، والتسهيل في علوم التتريل: ٣/٤٩، وتفسير السراج المنير: ٤/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٧/٤٥٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤/٣٢٧.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٤/١٢٣، ٦/١٥٥، ٦/٢٠١، ٦/٢٩٣.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (عور).

ذي الرمة:

أقامتْ به حتى ذَوَى العودُ والتوى   ولَفَّ الثريَّا في مُلاءَته الفجرُ[1]

ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة»[2].

لكن الجاحظ أول من عرف الاستعارة كفَّنٍ بلاغي قائلاً: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه»[3]. وأطلق عليها اسم المثل والبديع عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة:

هُم ساعد الدهرِ الذي يُتقى به   وما خير كَفٍّ لا تنوء بساعِده

قال: «قوله: (هم ساعد) إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع»[4].

ومن البلاغيين الذين نقدوا هذه التسمية وفضلوا استعمال لفظ الاستعارة المظفر العلوي عندما قال: «وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: (فلان كثير الأمثال). ولقبها بالاستعارة ألزم، لأنَّه أعم، ولأنَّ الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة»[5].

وكان الجرجاني أدقُّ من عرَّف الاستعارة قائلاً: «الاستعارة أنْ تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبَّه به فتُعيرهُ المشبِّه وتجريه عليه»[6].

---

(١) ديوانه: ١٢١

(٢) العمدة: ١/١٨١، وينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) البيان والتبيين: ١/١٥٣، ٢٨٤، والحيوان: ٢/٢٨٠-٢٨٣.

(٤) البيان والتبيين: ١/٣٦١.

(٥) نضرةُ الأغريض، ص١٣٣-١٣٤.

(٦) دلائل الإعجاز، ص٥٣.

وقد بحثها السكاكي تحت (علم البيان) قائلاً فيها: «الاستعارة: هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبه به»[1]. وكان هذا إيذاناً بوضعها جزءاً من مباحث هذا العلم الذي جعله أحد العلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وهكذا أخذت الاستعارة وضعها في علم البيان.

والاستعارة ثلاثة أركان، وهي: المستعار منه، وهو المشبه به والمستعار له وهو المشبه والمستعار ويقصد به اللفظ المنقول.

وقسَّم الجرجاني الاستعارة إلى مقيدة وغيره مقيدة[2]. ثم جاء القزويني والسكاكي وقسَّما الاستعارة على أنواع متعددة سنتعرف عليها عند السَّمين الحلبي الذي كان اهتمامه كبيراً بالاستعارة في تفسيره، فقد عرّفها بقوله: «الاستعارة هي أنْ يطوى فيها ذكر المشبه»[3]، وقد أورد لها أمثلة كثيرة في تفسيره، مُحللاً لها وعلق عليها تعليقاً يتسم بالوضوح والدقة، إلاَّ أنه لم يُصرح بنوع الاستعارة المفادة منها، ماعدا تصريحه بنوع واحد منها فقط وهي الاستعارة الترشيحية التي سأذكرها في الصفحات القليلة القادمة، ونقف الآن على بعض الأمثلة التي ذكرها:

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: من الآية ١١٢]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «ووجه الاستعارة ما قاله الزمخشري: فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه

---

(١) مفتاح العلوم، ص١٧٤.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٢.

(٣) الدر المصون: ٤/٣٦١.

صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة، لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمس الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤْسَ والضَّرَّة، وإذاقة العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضَّرَرِ والألم بما يدرك من طَعْم المر والبشع، وأما اللباس فقد شبه به، لاشتماله على الملابس: ما غَشِي الانسانَ والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على «لباس الجوع والخوف» فلأنَّه لما وقع عبارة عما يغشى عنهما ويلابس، فكأنه قيل: أذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف، ولهم في ذلك طريقان:

أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له، كما نظر إليه ههنا، ونحو قول كثير:

غمرُ الرِّدَاءِ إذا تَبَسَّمَ ضـاحكاً ... غلقتْ لضحكتِهِ رِقَابُ المالِ[1]

استعار الرداء للمعروف، لأنَّه يصون عِرْضَ صاحبه، صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال، لا وصف الرداء نظراً إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظر إلى المستعار، كقوله:

يُنازِعُني ردائِي عبـدُ عَمْـرو ... رُويدَكَ يا أخَا عمرو بِنْ بَكرِ[2]

ليَ الشَّطرُ الذي ملكَتْ يمينِـي ... ودونكَ فاعتُجِزْ منـه بـشَطْرِ

أراد برداء سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر. فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقال: فكساهم لباس الجوع، ولقال

(١) ديوانه، ص٢٨٨.

(٢) لم أعثر على قائلهما.

كثير: صافي الرداء إذا تبسم»[1].

وصرح أبو السعود أن الاستعارة هنا هي استعارة تجريدية[2]، قائلاً: «شبه أثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي اللابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: من الآية ٤]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر، وفُشُوِّهِ فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً، ولم يضف الرأس، اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمِنْ ثَمَّ فَصُحَتْ هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة»[4]. ثم حدد السَّمين الحلبي نوع الاستعارة قائلاً: «وهذا من استعارة محسوس بمحسوس، ووجه الجمع الانبساط والانتشار»[5].

---

(١) الدر المصون: ٤/٣٦٢-٣٦٣، وينظر: الكشاف: ٢/٥٩٦.

(٢) وتسمى المجردة، وهي الاستعارة التي تقترن بما يلائم المستعار له، (ينظر: المصباح، ص٦٦، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٥٠٨).

(٣) ارشاد العقل السليم: ٥/٢٦١.

(٤) الدر المصون: ٤/٤٩١، وينظر: الكشاف: ٣/٦.

(٥) المصدر نفسه: ٤/٤٩١. وهي الاستعارة التي يشترك المحسوسان في الذات ويختلفا في الصفات كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة فإن الطيران والعدد يشتركان في الحقيقة وهي الحركة الكائنة إلاَّ أن الطيران أسرع. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٦٩).

والملاحظ أن أغلب العلماء ذكروا الاستعارة في الآية الكريمة دون تحديد نوعها[1].

وصرح السَّمين الحلبي بالاستعارة الترشيحية[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والشراءُ هنا مجازٌ عن الاستبدال بمعنى أَنَّهم لما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة، جُعِلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثُم رُشِّح هذا المجاز بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ فأسند الربح إلى التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم، ونظير هذا الترشيح قول الآخر:

بَكَى الخَزُّ مِنْ رَوحٍ وأنكرَ جلدَه   وعجَّتْ عجيجاً مِنْ جُذامَ المَطارِفُ[3]

لما أسند البكاء إلى الخَزِّ من أجل هذا الرجل -وهو روحٌ- وإنكاره لجِلده مجازاً رشَّحه بقوله: (وعَجَّت المَطارِف من جُذام) أي: استغاثت الثياب من هذه القبيلة. وقول الآخر:

ولَّما رأيتُ النَّسرَ عَزَّ دايةٍ   وعَشَّشَ في وكريهِ جاشَ لهُ صدري[4]

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٠١، والكشاف: ٣/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١١/٧٧، والبحر المحيط: ٦/١٦٢، وأنوار التنزيل: ٤/٤، ونظم الدرر: ٤/٥٢٠، وخزانة الأدب: ١/١٠٩.

(٢) هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، أو هي أن يراعي جانب المستعار ويولي ما يستدعيه ويضم إليه ما يقتضيه. (ينظر: نهاية الإيجاز، ص٩٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/١٥٣).

(٣) البيت لحميدة بنت النعمان.

(٤) البيت لابن المعتز، وهو في ديوانه: ٢/٤٣.

لما جعل النسر عبارة عن الشيب، وابن داية وهو الغراب عبارةً عن الشباب مجازاً رشَّحه بقوله: (وعشَّشَ في وكريه)»[1].

قال أبو السعود في بيان هذه الاستعارة: «وأصاب الربح وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الأشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم وإيرادهما أثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشا عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرُّنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة؛ إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلاَّ تقويتها...»[2].

ومن أمثلة الاستعارة عند السَّمين الحلبي مما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، قال السَّمين الحلبي: «السُّكُوتُ والسُّكاتُ: قطع الكلام، وهو هنا استعارة بديعية، قال الزمخشري: هذا مثل كأنَّ الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك: كذا، وألقِ الألواحَ، وخُذْ برأس أخيك إليك، فترَكَ النطق بذلك، وترك الإغراء به. ولم يستحسن هذه الكلمة، ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلاَّ لذلك، ولأنَّه

---

(١) الدر المصون: ١/١٢٧-١٢٨.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/٤٩.

من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قُرَّة «ولَّما سَكَنَ» بالنون، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة»[1].

وهذا استعارة شيء معقول لشيء معقوله[2] لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي، وأحدهما أكمل من ذلك الوصف، فيترل الناقص مترل الكامل[3].

قال الرازي: «إنَّ هذا الكلام خرج على قانون الاستعارة كأنَّ الغضب كان يقويه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وكذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك إليك فلما صار الغضب صار كأنَّه سكت»[4].

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر الاستعارة في تفسيره[5].

ب- المجاز المرسل:

وهو أحد أنواع المجاز اللغوي، وعرَّفه القزويني بقوله: «هو ما كانت

---

(١) الدر المصون: ٣/٣٤٩-٣٥٠، وينظر: الكشاف: ٢/١٥٤.

(٢) هو أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي، وأحدهما أكمل في الوصف فيتترل الناقص مترلة الكامل كاستعارة العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة، أو استعارة اسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٧٢).

(٣) ينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب: ٧/٥٠.

(٤) التفسير الكبير: ١٥/١٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٣٢٣.

(٥) ينظر على سبيل الذكر لا الحصر: الدر المصون: ٢/١٨٤، ٢/٤٠٤، ٣/٤٤، ٣/١٦٤، ٤/٣١٤، ٤/٣٨٥، ٤/٤٣٤، ٥/٤٧٣، ٥/٤٧٦، ٥/٥٢٧، ٦/٢١، ٦/١٧٦، ٦/٢٤٢، ٦/٣٢٦، ٦/٣٤٢، ٦/٤٠٥، ٦/٤٥١، ٦/٤٦٢، ٦/٥٠٣.

العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسةً غير التشبيه»[1] وهو بذلك أخرج المجاز المرسل من التشبيه.

ويعد السكاكي أول من أطلق عليه هذا الاسم[2]، وذلك عندما قال: «وغير معناها في المجاز: إما أن يقدر قائماً مقام بوساطة المبالغة في التشبيه، أو لا يقدر؛ والأول: هو الاستعارة، والثاني هو المجاز المرسل»[3].

وسمي هذا النوع مرسلاً؛ لأنَّ الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيَّد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد: «وقيل إنَّما سمي مرسلاً لإرساله على التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فإنه بعلاقة هي المشابهة»[4].

والمجاز المرسل -ككل مجاز- يوسع اللغة، كما يساعد على الافتتان في التعبير. وتدعو إليه المبالغة في المعنى، والإيجاز في العبارة، كما في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ [البقرة: من الآية ١٩] فقد عبر بالأصابع بدلاً من أطرافها، إشعاراً بشدة فزع المنافقين لدرجة أنهم يدسون الإصبع كلها اتقاءً لذلك[5].

◈ علاقات المجاز المرسل عند السَّمين الحلبي:

تناول السَّمين الحلبي المجاز المرسل بالتحليل والدراسة للوصول إلى

---

(١) الإيضاح: ٣٩٧/٢، والتلخيص، ص٢٩٥.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٠٦/٣.

(٣) مفتاح العلوم، ص٤١٤.

(٤) حاشية الدسوقي: ٢٩/٤.

(٥) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص١٥٥.

المقتضى البلاغي لهذا النوع أو ذاك، ومن أنواع المجاز التي ذكرها في تفسيره.

١- الجزئيّة (إطلاق الجزء وإرادة الكل)

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤]، قال السَّمين الحلبي: «و«كلمة» مفسَّرةٌ بما بعدها من قوله: «ألا نعبدَ» فالمراد بها كلامٌ كثير، وهذا مِنْ بابِ إطلاق الجزء والمرادُ به الكل، ومنه تسميتهم القصيدة جمعاً: قافية، والقافية جزءٌ منها، قال:

أُعَلِّمُه الرمايةَ كُلَّ يومٍ ... فلمَّا اشتدَّ ساعِدُه رَمَانِي[١]
وكَمْ علَّمتُه نظمَ القَوافِي ... فلمَّا قالَ قافيَةً هجانِي

ويقولون: «كلمةُ الشهادة» يعنون: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، وقال رسول الله ﷺ: «أصدقُ كلمة قالها شاعر كلمةُ لبيد»[٢] يريد قوله:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهُ باطِلُ ... وكُلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائِلُ[٣]»[٤]

وهذا رأي أبي حيان وغيره[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: من الآية ٣٤]، قال

---

(١) البيتان لمعن بن أوس أو مالك بن فهم أو عقيل بن علفة، وهما في شواهد الألفية: ١/ ٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب (الشعر): ٢٢٥٦: ٤/١٧٦٨. وتكملة الحديث: «ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكاد أمية ابن أبي الصلت أن يُسلِمَ».

(٣) ديوانه، ص٢٥٦.

(٤) الدر المصون: ٢/١٢٤-١٢٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٢/٥١٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٢٩٤.

السَّمين الحلبي: «قوله: «ولا ينفقونها»... وقيل: يعود على المكنوزات ودل على هذا جُزؤُه المذكور؛ لأنَّ المكنوز أعمُّ من النقدين وغيرهما، فلما ذكر الجزءَ دلَّ على الكل، فعاد الضميرُ جمعاً بهذا الاعتبار»[1]. وهذا ما ذكره ابن عادل الدمشقي[2].

٢- الكلية (إطلاق الكل وإرادة الجزء):

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والخرطوم: الأنف، وهو هنا عبارة عن الوجه كله، من التعبير عن الكل بالجزء؛ لأنَّه أظهر ما فيه وأعلاه»[3].

وقال الفراء: «أي: سنسمه سمة أهل النار، أي: سنسوِّد وجهه، فهو وإن كان الخرطوم قد خُصَّ بالسمة فإنه في مذهب الوجه، لأنَّ بعض الوجه يؤدي عن بعض»[4].

٣- المُسببيّة (ذكر المُسبِّب وإرادة السبب)

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: من الآية ٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وأنزل لكم من الأنعام» عطف على «خلقكم» والإنزال يحتمل الحقيقة؛ يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها ويحتمل المجاز وله وجهان:

أحدهما: أنَّها لَّما لم يعش إلاَّ بالنبات والماء، والنبات إنما يعيش بالماء،

---

(١) الدر المصون: ٣/٤٦٠.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠/٧٩.

(٣) الدر المصون: ٦/٣٥٤.

(٤) معاني القرآن: ٥/١٢٦.

والماء يترل من السحاب، أطلق الإنزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب كقوله:

.... أسْنِمَةُ الآيَالِ في رَبَابِــه[1]»[2]

وهذا الرأي ذكره بعض المفسرين[3]. وقال البغوي: «معنى الإنزال هاهنا: الأحداث والإنشاء»[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، ذكر السَّمين الحلبي أوجه متعددة في تفسير الآية الكريمة منها قوله: «أن المعنى «أهلكناها» أي: خذلناهم، ولم نوقفهم فنشأ عن ذلك هلاكهم، فعبَّر بالمسبب عن سببه، وهو باب واسع»[5].

وهذا رأي الزمخشري الذي قال: «والإهلاك إنَّما هو بعد مجيء البأس؟ قلت: معناه أردنا إهلاكها»[6] وتبعه البيضاوي والسيوطي وابن عادل[7].

٤- السببيَّة (ذكر السَّبب وإرادة المسبِّب):

نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: من

---

(١) لم أعثر على قائله، وصدر البيت: أقبل في المُسْتَنِّ من سَحابَه.

(٢) الدر المصون: ٦/٦.

(٣) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٤٩/٣، وفتح القدير: ٦٣٩/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤٧٤/١٦.

(٤) معالم التتريل: ١٠٨/٧.

(٥) الدر المصون: ٢٣٣/٣.

(٦) الكشاف: ٨٤/٢.

(٧) ينظر: أنوار التتريل: ٤/٣، والإتقان: ٩٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٩.

الآية ١٧٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إلاَّ النار» استثناءٌ مفرغٌ، لأنَّ ما قبله عاملاً يطلبه، وهذا من مجاز الكلام، جعل ما هو سببٌ للنار ناراً كقولهم: «أكل فلان الدم» يريدون الديَّة التي يسببها الدم، قال:

فَلَو أنَّ حيًّا يقبلُ المـــالَ فِديـــةً ... لسُقنَا إليهِ المَالَ كالسَّيلِ مُفعما

ولكنْ أبى قَومُ أجيبَ أخُـــوهمْ ... رضَا العَارِ واختَاروا على اللَّبنِ الدَّمَا[١]

وقال:

أكلتُ دماً إنْ لمْ أرُعكِ بضرَّةٍ ... بعيدَةِ مهوى القِرْط طيِّبَةِ النَّشرِ[٢]»[٣]

وهذا رأي ابن جزي الذي قال: «أي أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب»[٤].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ألاّ لنعلم» ليس على ظاهره، فإنَّ علمه قديم غير حادث، فلابد من تأويله، وفيه أوجه أحدها: لتمييز التابع من الناكص إطلاقاً للسبب وإرادة المسبب، وقيل: على حذف مضاف أي: لنعلم رسولنا فحذف، أو أراد بذلك تعلق العلم بطاعتهم وعصيانهم في أمر القبلة»[٥].

وقال أبو السعود: «ما رددناك إلاَّ ما كنت عليه إلاَّ لنعلم الثابت على

---

(١) البيت في الحماسة: ١/١٢٥.

(٢) البيت لعروة الرحال، ينظر: الحماسة: ٢/٤٦٣.

(٣) الدر المصون: ١/٤٤٤.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٢٧، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣/١٨٤.

(٥) الدر المصون: ١/٣٩٤.

الإسلام والناكص على عقبيه لقلقلة وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي أي: ليتعلق علمنا به موجوداً بالفعل، وقيل المراد علم الرسول ﷺ والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه ولتمييز الثابت عن المتزلزل فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه»(١). وهذا الرأي ذكره أغلب المفسرين(٢).

٥- اللزوميّة (إطلاق اسم اللازم على الملزوم):

ذكر السَّمين الحلبي هذه العلاقة في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فقال: «والبلاغُ يحتمل أن يكون مصدراً لــ«بَلَّغ» مشدداً أي: ما عليه إلاَّ التبليغُ، فجاء على حذف الزوائد، كــ«نبات» بعد «أنبت»، ويحتمل أن يكون مصدراً لــ«بلغ» مخففاً بمعنى البلوغ، ويكون المعنى: ما عليه إلاَّ البلوغُ بتبليغه، فالبلوغُ مستلزِمٌ للتبليغ، فعبَّر باللازم عن الملزومِ»(٣).

وهذا رأي ابن عطية وأبي حيان(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١/١٧٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ١/٤١٧، ومدارك التنزيل: ١/٧٦، والبحر المحيط: ١/٥٩٧، واللباب في علوم الكتاب: ٣/٢١.

(٣) الدر المصون: ٢/٦١٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٢٩٧، والبحر المحيط: ٤/٣٠، واللباب في علوم الكتاب: ٧/٥٤١.

٦- الملزوميَّة (إطلاق اسم الملزوم على اللازم):

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «... وإنَّما ضدُّ «تعجَّل» «تأنى» وضدُّ تأخَّر: تقدَّم، ولكنه في «تعجَّل» عبَّر بالملزوم عن اللازم، وفي «تأخَّر» باللازم عن الملزومِ... وذلك أن المتأخِّرَ بالنَّفْر آتٍ بزيادةٍ في العبادة فله زيادةٌ في الأجر على المتعجِّل فقال في حقه أيضاً: «فلا إثم عليه»»[1].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان[2].

٧- تسيمة الشيء باسم ما كان عليه:

وهذا النوع من المجاز المرسل يطلق عليه أيضاً الماضيويَّة: أي: ما كان عليه الشيء في الماضي، فيسمونه باسم ما كان عليه. والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما كان عليه الشيء في الماضي، ويريدون ما هو عليه في الحاضر، يجرون بذلك على أنَّ دلالة الصفة على الحاضر حقيقية، وعلى ما عداه مجاز[3].

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أزواجهن» مجازٌ؛ لأنَّه إنْ أُريد المطلَّقون فتسميتهم بذلك اعتباراً بما كانوا عليه، وإن أُريد

---

(١) ينظر: الدر المصون: ٥٠٢/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٢١/٢.

(٣) ينظر: صناعة الكتابة، ص١٩٤.

بهم غيرهم ممَّن يُردْنَ تزويجهم، فباعتبار ما يؤولون إليه»[1].

وهذا رأي أبي حيان[2].

٨- تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه:

ويقصد البلاغيون بالمستقبلية النسبة إلى المستقبل، أي: ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، فيسمونه باسم ما سيكون عليه، والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، متجاوزين ما هو عليه في الحاضر[3].

كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: من الآية ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: «والخَمْرُ: العِنبُ، أطلق عليه ذلك مجازاً، لأنَّه آيل إليه»[4].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أكثر المفسرين[5].

٩- الماضيوية (إطلاق لفظ الماضي وإرادة المستقبل):

كما في قوله تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فأوردهم»...

---

(١) الدر المصون: ٥٦٦/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٢٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢١٤/٩.

(٣) ينظر: صناعة الكتابة، ص١٩٥.

(٤) الدر المصون: ١٨٣/٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤٤٢/٢، ومعالم التتريل: ٢٤٠/٤، والمحرر الوجيز: ٢٥٣/٣، ومدارك التتريل: ١٨٨/٢، والتسهيل لعلوم التتريل: ١٩/٢، والبحر المحيط: ٣٠٨/٥، وأنوار التتريل: ٢٨٧/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٧٥/٤، وفتح القدير: ٣٧/٣.

وهو ماضٍ لفظاً، مستقبل معنى، لأنَّه عطف على ما هو نص في الاستقبال»[1].

وذكر البيضاوي أن التعبير بالماضي لغرض المبالغة قائلاً: ««فأوردهم» ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه»[2] وتبعه الرازي والشربيني[3]. وذهب الشوكاني إلى غرض التنبيه قائلاً: «وعبر بالماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه»[4] وتبعه ابن عاشور[5]، ولم يذكر بقية العلماء غرض بلاغي لهذه العلاقة[6].

وقد ذكر السَّمين الحلبي أمثلة متعددة في تفسيره[7].

١٠- المستقبليَّة (إطلاق لفظ المستقبل وإرادة الماضي):

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٩١]، قال السَّمين الحلبي: «وتقتلون -وإنْ كان بصيغة المضارع- فهو في معنى الماضي لفهم المعنى، وأيضاً فمعه قوله: «من قبل»، وجاز إسنادُ القتل إليهم وإن لم يتعاطوه؛ لأنَّهم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم جُعِلوا كأنَّهم فعلوا هم أنفسهم»[8].

---

(١) الدر المصون: ١٢٨/٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٢٥٩/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٤٤/١٨، وتفسير السراج المنير: ٦٣/٢، والبحر المديد: ٣٢٨/٣.

(٤) فتح القدير: ٧٥٦/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٤/١١.

(٦) ينظر: الكشاف: ٤٠١/٢، وإرشاد العقل السليم: ٢٣٩/٤، ومدارك التنزيل: ١٧١/٢، والتسهيل في علوم التنزيل: ٨/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥٥٨/١٠.

(٧) ينظر: الدر المصون: ١٨٧/٢، و٦٥٥/٢، و٣٧/٣، و٤٦٢/٤، و٥٠٤/٤.

(٨) الدر المصون: ٣٠٤/١.

قال ابن عطية: «وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأنَّ الأمر مستمر»[1].

وقال ابن جزي: «وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنَّه دائم لما رضي هؤلاء به»[2].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة متعددة في تفسيره[3].

١١- المحليَّة (ذكر المحل وإرادة الحال):

كقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي:«وقُدِّم المجرور على المفعول به اهتماماً بذكر المحل قبل ذكر الحالِّ والإلقاء هنا مجاز؛ لأنَّ أصله في الأجرام، فاستعير هنا»[4].

وهذا رأي أبي حيان[5].

وأمثلته متعددة[6].

١٢- الآليَّة (ذكر الآلة وإرادة أثرها):

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بلسانك»...

---

(١) المحرر الوجيز: ١٦٢/١.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل: ١٠١/١.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٢٩٥/١، و٥٢٣/١، و٢٤٠/٢-٢٤١، و١١٦/٤، و٥٠٤/٦.

(٤) الدر المصون: ٢٣١/٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٨٣/٣.

(٦) ينظر: الدر المصون: ١٩٤/٤، ٢٠٨/٤، ٤٠٢/٤، ٥٤٧/٦.

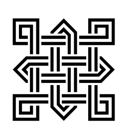
واللسان هنا: اللغةُ، أي: أنزلناه كائناً بلسانك»[1].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: من الآية ١٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «واللِّسَانُ: اللُّغةُ»[3].

وهذا مطابق لما ذكره المفسرين[4].

وأمثلته متعددة[5].



(١) الدر المصون: ٥٣١/٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٨٩/٣، والمحررالوجيز: ٦٩٠/١، ومدارك التتريل: ٤٩/٣، والبحر المحيط: ٢٠٩/٦، وأنوار التتريل: ٣٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٨٤/٥، وفتح القدير:٥٠٥/٣، والبحر المديد: ٣٧٢/٤.

(٣) الدر المصون: ٣٥٩/٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥٩٣/٢، ومدارك التتريل: ٢٧١/٢، والبحر المحيط: ٥١٩/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٠٧/٤، والتحرير والتنوير: ٢٣٢/١٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٢٥١/٤، ٢٨٧/٥، ٣٧٤/٥.

المبحث الثالث

الكناية

الكناية لغةً: قال ابن منظور: «أن تتكلم بشيء، وتريد غيره، وكنَّى عن الأمر بغيره يكنى كناية، وتكنَّى: تستَّر من كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية»[1].

وهي **في الاصطلاح:** قال الجرجاني: «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة... وفي المرأة نؤوم الضحى والمراد أنَّها مترفة مخدومة»[2].

وعرَّفها السكاكي فقال: «هي ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك»[3].

فالسكاكي يعتمد في التعريف السابق علاقة اللازم والملزوم فلو قلنا (كثير الرماد) نعد الكلام من اللازم، ولكن هناك معنى ملزوم بهذا اللازم، وهو الكرم وهذا ما قصده السكاكي بالملزوم.

◈ النوع الأول: الكناية عند السَّمين الحلبي (عن الصفة):

وقف السَّمين الحلبي على أمثلة عديدة، وضَّح الغرض منها بأسلوب يتَّسم بالوضوح والدقة في العبارة، مما يدلل على فهمه العميق لها ومن تلك

---

(١) لسان العرب، مادة (كنى).

(٢) دلائل الإعجاز، ص٥٢.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٨٩.

الأمثلة كل بحسب نوعه: النوع الأول: الكناية عن صفة:

ويكون المطلوب بها نفس الصفة، والمراد الصفة المعنوية، كالجود، والكرم، والشجاعة ونحوها، لا النعت[1].

وقد وردت الكناية عن صفة في القرآن الكريم بأنماط كثيرة، منها:

١- الكناية عن الطول بـــ(العماد):

كقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «وذات العماد وإن كان صفة لقبيلة فمعناه أنَّهم أصحاب خيام لها أعمدة يطعنون بها. أو هو كناية عن طول أبدانهم. كقولهم: رفيع العماد، طويل النجاد قاله ابن عباس وإن كان صفة للمدينة فمعناه أنَّها ذات عمد من الحجارة»[2].

وهذا ما ذكره أكثر المفسرين[3].

٢- الكناية عن الندم بـــ(تقليب الكف، وعض اليدين، والسقوط):

فمن الأول ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «يقلِّب كفيه»... وهذا كناية عن الندم، لأنَّ النادم يفعل ذلك»[4].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٠٤، والإيضاح: ٢/٣١٩-٣٢٠.

(٢) الدر المصون: ٦/٥١٩.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٤٤٩، والكشاف: ٤/٧٥١، والبحر المحيط: ٨/٤٦٤، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣/٣١٩، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٣١٩.

(٤) الدر المصون: ٤/٤٥٩.

وهذا رأي أغلب المفسرين[1].

وقال الرازي: «وهو كناية عن الندم والحسرة؛ فإنَّ من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى، وإنَّما يفعل هذا ندامة»[2] وذكر هذا الزمخشري والنسفي وغيرهم[3].

ومن الكناية عن عض اليدين قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «والعَضُّ هنا كناية عن شدة الندم، ومثله حرق نابهُ قال:

أبى الضَّيمَ والنُّعمانُ يحرقُ نابه عليهِ فأفضَى والسُّيوفُ معاقِلُه[4]

وهذه الكناية أبلغ من تصريح المكنَّى عنه»[5].

ومن الكناية عند الندم بالسقوط قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، قال السَّمين الحلبي: «وهذه اللفظة تستعمل في التنديم والتحير»[6].

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٢٣/٥، والبحر المحيط: ١٢٣/٦، وأنوار التنزيل: ٤٩٩/٣، والتسهيل في علوم التنزيل: ٢٧٩/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩٥/١٢، والبحر المديد: ٢٢٣/٤.

(٢) التفسير الكبير: ١٠٩/٢١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٦٧٦/٢، ومدارك التنزيل: ١٥/٣، وفتح القدير: ٤١١/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٩٧/٢.

(٤) البيت لزهير، وهو في ديوانه، ص١٤٣.

(٥) الدر المصون: ٢٥٣/٥.

(٦) المصدر نفسه: ٣٤٥/٣.

وذكر السَّمين الحلبي أقوال بعض العلماء واضطرابهم في معناها قائلاً: «وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها، فقال أبو مروان بن السراج اللغوي: قول العرب: «سُقط في يده» مما أعياني معناه. وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن «سقط في يده» نَدِمَ، وأنَّه يستعمل في صفة النادم. فأما القول في أصله ومأخذه فلم أرَ لأحدٍ من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه، إلاَّ ما ذكر الزجاجي، فإنه قال: قوله تعالى: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ بمعنى: نَدِموا، نظم لم يُسمع قبل القرآن، ولم تعرفه العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، ويدل على صحة ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خَفِيَ عليهم وجه الاستعمال، لأنَّ عادتهم لم تَجرِ به، فقال أبو نؤاس:

وَنَشْوَةٍ سُقِطَتُ مِنْهَا فِي يَدِي[1]

وأبو نُؤاس هو العالم، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ، لأنَّ «فُعِلْتُ»، لا يبنى إلاَّ من فعل متعد، و«سُقِطَ» لازم، لا يتعدى إلاَّ بحرف الصلة، لا يقال: سُقِطْتُ، كما لا يقال: رُغِبتُ وغُضِبْتُ، إنما يقال: رُغِبَ فِيَّ، وغُضِبَ عليَّ، وذكر أبو حاتم: «سقط في يده» بمعنى: ندم، وهذا خطأ مثل قول أبي نؤاس. ولو كان الأمر كذلك لكان النظم «ولما سُقِطُوا في أيديهم، وسُقِطَ القومُ في أيديهم». وقال أبو عبيدة: «يقال لمن نَدِمَ على أمر وعجز عنه: سُقِطَ في يده»[2].

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب: ٤/٢٢٠ وينظر: ديوانه: ٢/١٣٨.

(٢) الدر المصون: ٣/٣٤٥، وينظر: مجاز القرآن، ص٤١.

وهذا رأي أكثر العلماء[1].

٣- الكناية عن الشدة بـ(كشف الساق والظلمات):

نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، قال السَّمين الحلبي: «وكشف الساق: كناية عن الشدة لا يمتري في ذلك من ذاق طعم الكلام وسمع قول العرب في نظمها ونثرها قال الراجز:

عَجِبْتُ مِنْ نَفسي ومِنْ إشفَاقِهَا ... ومِنْ طِرَادِي الخَيل عَنْ أرزَاقِهَا

في سنةٍ قدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِهَا ... حمراءُ تبرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِهــا

وقال حاتم الطائي:

أخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِه الحَربُ عضَّهَا

وإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمْرَاً[2]

قال الزمخشري: الكشف عن الساق، والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة»[3].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين والعلماء[4].

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٥١/٢، المحرر الوجيز: ٥٢٤/٢، ومعالم التنزيل: ٢٨٣/٣، ومعاني القرآن للنحاس: ٨١/٣، والتفسير الكبير: ٩/١٥، وأنوار التنزيل: ٦٠/٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٨٥/١، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٢١٠/١، وتفسير السراج المنير: ٤٠٩/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٢٠/٩، وياقوتة الصراط: ٢٣١/١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ١٣٨.

(٣) الدر المصون: ٣٥٨/٦، وينظر: الكشاف: ٥٩٨/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢٩/٥، ومعالم التنزيل: ١٩٨/٨، وإرشـاد العقـل السليم: ١٨/٩، والكشاف: ٥٩٨/٤، والتفسير الكبير: ٨٤/٣٠، وأنوار التنزيل: ٣٧٤/١٥، والبحر المحيط: ٣٠٩/٨، والتسهيل في علوم التنزيل: ٢١٢/٣.

ومن الكناية عن الشدة بالظلمات مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«الظلمات» كناية عن الشدائد»(١).

وهذا رأي أكثر المفسرين(٢)، قال البغوي: «أي: من شدائدهما وأهوالهما»(٣).

٤- الكناية عن الكثرة بـ(الغيظ):

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٩]، قال السَّمين الحلبي: «وهو كناية عن كثرة الإسلام وفُشُوِّه، لأنَّه كلما ازداد الإيمان زاد غيظُهم»(٤).

وذهب أكثر العلماء إلى هذا المعنى ولكنهم لم يذكروا لفظ الكناية(٥)، وقال بعضهم إلى أنَّ الغيظ هو شدة الغضب، والتعبير عن شدة الغضب بعضِّ الأنامل مجازاً(٦).

---

(١) الدر المصون: ٣/٨٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٢/٤٣٩، والمحرر الوجيز: ١/٣٥٨، والكشاف: ٢/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ٧/٨، وأنوار التنزيل: ٢/٤١٧، والبحر المحيط: ٤/١٥٤، وتفسير السراج المنير: ١/٣٣٩، وتفسير الجلالين: ١/١٧٢، واللباب في علوم الكتاب: ٨/١٩٩، والتحرير والتنوير: ٦/١٤٤.

(٣) معالم التنزيل: ٣/١٥٢.

(٤) الدر المصون: ٢/١٩٨.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢/٧٦، والكشاف: ١/٤٣٥، والتفسير الكبير: ٨/١٧٦، والبحر المحيط: ٣/٤٤، وأنوار التنزيل: ٢/٨٥، ومدارك التنزيل: ١/١٧٥.

(٦) ينظر: تفسير الجلالين: ١/٨٠، وتفسير السراج المنير: ١/١٩٧.

٥- الكناية عن التكبر بـــ(ثاني عطفه):

نحو قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «كُني به عن التكبر»(١).

وهذا رأي أكثر المفسرين(٢).

٦- الكناية عن النؤوم والكسلان بـــ(جاثمين):

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، قال السَّمين الحلبي: «والجُثُوم: اللصوق بالأرض من جثوم الطائر والأرنب، فإنَّه يلصق بطنه بالأرض، ومنه رجل جُثمَةٌ وجَثَّامَةٌ، كناية عن النَّؤُوم والكسلان. وجُثمانُ الإنسان: شخصه قاعداً. وقال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير، كالبروك للإبل، وأنشد لجرير:

عَرَفْتُ المُنتَأى وعرفتُ منـــها ... مطايا القِدرِ كالحِدَأ الجُثُومِ(٣)»(٤)

وفسَّر أغلب المفسرين الآية دون ذكر لفظ الكناية(٥)، قال أبو حيان:

---

(١) الدر المصون: ١٢٨/٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩٦/٦، وتفسير القرآن العظيم: ٣٩٩/٥، والكشاف: ١٤٧/٣، وأنوار التنزيل: ١١٦/٤، والبحر المحيط: ٣٢٩/٦، والتـــسهيل لعلـــوم التنزيل: ٢٠٩/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٨/١٤.

(٣) ديوانه، ص٢١٧.

(٤) الدر المصون: ٢٩٦/٣.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٤٤/٣، والكشاف: ١١٦/٢، والتفـــسير الكـــبير: ١٤٨/١٤، وتفسير السراج المنير: ٣٩١/١.

«هامدين لا يتحركون موتى: يقال الناس جثوم أي: قعود لا حراك بهم..»[1].

٧- الكناية عن التباطؤ بـــ(اقعدوا):

نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: من الآية ٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «والمراد بقوله: «اقعدوا» التخلية وهو كناية عن تباطئهم، وأنَّهم تشبهوا بالنساء أو الصبيان والزَّمنى وذوي الأعذار، وليس المراد قعوداً»[2].

ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية وإنَّما اكتفوا بتفسيرها.

٨- الكناية عن التواضع واللين بـــ(الخفض):

كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «فَجُعِلَ خفض الجناح كناية عن التواضع واللين»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان والشوكاني وغيرهم[4]، وقال القرطبي: «هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما»[5]، ولم يذكر الزمخشري والنسفي لفظ الكناية[6].

---

(١) البحر المحيط: ٣٣٤/٤.

(٢) الدر المصون: ٤٦٩/٣، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠٥/١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٥/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢٥/٦، وفتح القدير: ٣١٣/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٣٣/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٩/١٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٣/١٠.

(٦) ينظر: الكشاف: ٦١٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٣/٢.

٩- الكناية عن التقوية بـــ(العضد):

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: من الآية ٣٥]،: «وهذا كناية عن التقوية له بأخيه»(١).

وهذا رأي الشوكاني وغيره(٢)، ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية(٣)، قال أبو حيان: «سنقويِّك فيه»(٤).

◈ النوع الثاني: الكناية عن موصوف:

ويكون المطلوب بها نفس الموصوف(٥)، وقد ورد هذا النوع بأنماط متعددة في القرآن الكريم تناولها السَّمين الحلبي في تفسيره، وهي كما يأتي:

١- الكناية عن الاسم بـــ(الأبوة):

وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، قال السَّمين الحلبي: «وكنّى بذلك إمّا لالتهاب وجنتيه وكان مشرق الوجه أحمره، وإما لما يؤول إليه من لهب جهنم. كقولهم: أبو الخير وأبو الشر لصدورهما منه، وإما لأنَّ الكنية أغلب من الاسم. أو لأنَّها أنقص منه، ولذلك ذكر الأنبياء

---

(١) الدر المصون: ٥/٣٤٥.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٤/٢٤٧، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/٢٥٨، والبحر المديد: ٥/٤٠٦.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٨١٨، ومعاني القرآن للنحاس: ٥/١٨٠، ومعالم التتريل: ٦/٢٠٨، والكشاف: ٣/٤١٤، والتفسير الكبير: ١٣/٢٨٧، وأنوار التتريل: ٤/٢٩٢، وتفسير السراج المنير: ٣/٩٩، وتفسير الجلالين: ١/٥١٣.

(٤) البحر المحيط: ٧/١١٣.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٠٣.

بأسمائهم دون كناهم، أو لقبح اسمه فاسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية، وقال الزمخشري: فإن قلت: لمَ كناه والكنية تكرمه؟ ثم ذكر ثلاثة أجوبة: إما لشهرته بكنيته، وإما لقبح اسمه كما تقدم، وإما لأنَّ مآله إلى لهب جهنم»[1].

وهذا رأي القرطبي والزركشي والسيوطي[2].

٢- الكناية عن المرأة بـــ(النعجة والفرش):

فمن الأول مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقرأ العامة «نَعْجَةً» بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسرها. قيل: وهي لغة لبعض بني تميم. وكثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة، قال ابن عون:

أَنَا أَبُوهُنَّ ثَلاَثٌ هُنَّهْ[3]

رابعةٌ في البيت صُغْراً هُنَّهْ

وَنُعْجَتِي خَمْساً تُوَفِّيهُنَّهْ

وقال الآخر:

هُمَا نعجتَــانِ مِـــنْ نِعَـــاجِ تَبَالَـــهُ

لدَى جُوْذُرَينِ أو كبعضِ دُمَى هَكَرِ[4]»[5]

(١) الدر المصون: ٥٨٥/٦، وينظر: الكشاف: ٢٩٦/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧، والبرهان، ص٥٠٥، والإتقـــان: ١٢٤/٣.

(٣) لم أعثر على تخريجه.

(٤) البيت لامرئ القيس، ديوانه، ص١١٠.

(٥) الدر المصون: ٥٣١/٥.

وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[1].

ومن الكناية عن المرأة بالفرش قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال السَّمين الحلبي: «والفرش قيل: هي القماش المعهود ومرفوعة على الأسرَّة، وقيل: هي كناية عن النساء»[2].

وهذا رأي أغلب المفسرين[3].

٣- الكناية عن الحدث بــ(الغائط):

نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: من الآية ٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقرأ الجمهور: «الغائط» بزنة فاعل، وهو المكان المطمئنُّ من الأرض، ثم عَبَّر به عن نفس الحدث كنايةً للاستحياء من ذكره»[4].

وهذا هو المشهور عند العلماء[5].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٩٧/٦، والمحرر الوجيز: ٥٦٩/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٢١/٧، وأنوار التتريل: ٤٢/٥، والبحر المحيط: ٣٧٦/٧، وتفسير السراج المنير: ٣٣٠/٣، وفتح القدير: ٦٠٥/٤، والتسهيل لعلوم التتريل: ٤٤٤/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩٦/٦، والبحر المديد: ٣٢٠/٦.

(٢) الدر المصون: ٢٥٩/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٥٩/٤، ومعالم التتريل: ١٣/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٩٣/٨، ومدارك التتريل: ٢٠٨/٤، وأنوار التتريل: ٢٨٧/٥، والبحر المحيط: ٢٠٦/٨، والتسهيل لعلوم التتريل: ١٢١/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٠٠/١٨.

(٤) الدر المصون: ٣٧٠/٢.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩٩/٦، والبرهان، ص٥٠٢.

٤- **الكناية عن أسباب الموت ومقدماته بـــ(الحضور):**

كقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «وحضور الموت كناية عن حضور أسبابه، ومقدماته، قال الشاعر:

وقُلْ لهمْ بادروا بالعُذرِ وَالْتمِــسُوا   قولاً يُبَرِّئكُمْ إنِّي أنا المـــوتُ[1]

أي: أنا سببه»[2].

وهذا ما ذهب إليه العلماءِ[3]، قال أبو السعود: «والمراد بحضور الموت: حضور أسبابه»[4].

٥- **الكناية عن الدولة والغلبة بـــ(الريح):**

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «والريح في قوله: «ريحكم» كناية عن الدولة والغلبة. قال:

إذا هَبَّتْ رياحُـــكَ فاغتَنِمْهَـــا   فإنَّ لكُلِّ عاصِفَةٍ سُكُونَا[5]»[6]

وفسَّر الزمخشري وأبو حيان الآية من دون ذكر الكناية، قال الأول:

---

(١) البيت لرويشد بن كثير وهو في الحماسة: ١٠٢/١.

(٢) الدر المصون: ٣٧٩/١.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٤٦/١، وإملاء ما من به الـــرحمن: ٧٨/١، وزاد المسير: ٤٤٥/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥٠٦/٢، والتحرير والتنوير: ٢٠١/٢.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٦٤/١/١.

(٥) لم أعثر على قائله.

(٦) الدر المصون: ٤٢٥/٣.

«والريح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها، فقيل: هبَّت ريح فلان، إذا والت له الدولة ونفذ أمره»[1]، وذهب أبو السعود والبيضاوي إلى معنى الاستعارة[2].

٦- الكناية عن الاصطفاء بـــ(آثرك):

هو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]، قال السَّمين الحلبي: «واسْتأثَرَ اللهُ بفُلانٍ، كناية عن اصطفائه له، قال:

واللهُ أسماكَ سُـــمىً مباركــاً آثركَ الله بـــهِ إيثارَكَـــا[3]»[4]

ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية وإنَّما اكتفوا بتفسيرها[5]، قال البغوي: «أي: اختارك الله وفضَّلك علينا»[6].

٧- الكناية عن الموت بـــ(تردى):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «تردّى» إما من الهلاك أو من تردّى بأكفانه وهو كناية عن الموت، كقوله:

---

(١) الكشاف: ٢١٥/٢/٢، وينظر: البحر المحيط: ٤٩٩/٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٥/٤، وأنوار التنزيل: ١١٢/٣.

(٣) البيت لأبي خالد القناني.

(٤) الدر المصون: ٢١٣/٤.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٠٤/٤، والكشاف: ٤٧٣/٢، والوجيز للواحـــدي: ٥٥٩/١.

(٦) معالم التنزيل: ٢٧٤/٤.

وخطا بأطراف الأسَّنة مضجعي   ورداً على عيني فضل ردائيا[1]»[2]

وهذا رأي الزمخشري والقرطبي وابن جزي الكلبي[3].

٨- الكناية عن عَلَمٍ بـــ(فُلان):

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «و«فُلان» كناية عن عَلَمِ مَنْ يعقل وهو متصرف وفُلُ كناية عن نكرة مَنْ يعقل من الذكور وفُلَةُ عن مَنْ يعقل من الإناث والفُلانُ والفُلانةُ وبالألف واللازم عن غير العاقل ويختص فُلُ وفُلَةُ عن مَنْ يعقل من الإناث والفُلانُ والفُلانَةُ وبالألف واللام عن غير العاقل...»[4].

وإلى هذا المعنى ذهب النسفي قائلاً: ««فلاناً خليلاً» كناية عن الأعلام»[5]، وهذا هو المشهور[6].

٩- الكناية عن الكلام بـــ(لحن القول):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: من الآية ٣٠]،

---

(١) البيت لمالك بن الريب من مرثيته المشهورة.

(٢) الدر المصون: ٦/٥٣٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤/٧٦٧، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٩٠، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣/٣٣١، وتفسير السراج المنير: ٤/٤٠٠، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٣٧٤.

(٤) الدر المصون: ٥/٢٥٣.

(٥) مدارك التنزيل: ٢/٤٤٢.

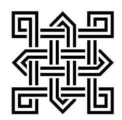
(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦/٢١٧، والجامع لأحكام القرآن: ٩/١٥٣، وأنوار التنزيل: ٤/٢١٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٥٢٢، والبحر المديد: ٥/١٩٣.

قال السَّمين الحلبي: «قوله: «في لحن القول» اللحن: يقال باعتبارين أحدهما: الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له:

ولقد وميت لكم لكيما تفهموا   ولحنت لحناً ليس بالمرتـــاب[1]

واللحن: صرف الكلام من الإعراب إلى الخطأ...»[2].

في حين ذكر أغلب المفسرين اشتمال الآية الكريمة على التعريض والتورية[3]، قال البيضاوي: ««لحن القول» أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن؛ لأنَّه يعدل بالكلام عن الصواب»[4].



---

(١) ديوانه، ص٣٦.

(٢) الدر المصون: ٦/١٥٧.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨/١٠١، والكشاف: ٤/٣٣٠، ومـــدارك التتريـــل: ٤/١٥٠، وفتح القدير: ٧/٥٧.

(٤) أنوار التتريل: ٥/١٩٦.

المبحث الرابع

التعريض

وهو **في اللغة:** «عرَّض لفلان وبه: إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه، يقال: عرَّض تعريضاً: إذا لم يبيِّن، والتعريض خلاف التصريح، والمعارض: التورية بالشيء عن الشيء»[١].

وفي الاصطلاح: عرَّفه ابن الأثير بقوله: «وأما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء ومن طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي»[٢].

وعرَّفه الحموي قائلاً: «وهو عبارة عن أن يُكنّى بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه، كقول القائل: ما أقبح البخل فيعلم أنك أردت أن تقول له أنت بخيل»[٣].

وهو من الأساليب العربية العريقة، إذ استعمله العرب في كلامهم كثيراً، وعدُّوه من محاسن الكلام، قال عنه ابن قتيبة بعد أن عقد له باباً: «ومن هذا الباب التعريض والعرب تستعمله في كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون: (لا يحسن التعريض إلاَّ ثلبا)»[٤].

وقال السكاكي في معرض تقسيمه للكناية أنَّها تتنوع إلى تعريض،

---

(١) لسان العرب، مادة (عرض).

(٢) المثل السائر: ١٨٦/٢.

(٣) خزانة الأدب: ٤٠٧/٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ص٢٠٤.

وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة[1]. وقال: «متى كانت الكناية عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً»[2].

وتكلم الزركشي عن هذا النوع قائلاً: «وأما التعريض، فقيل: إنَّه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم، وسُمي تعريضاً؛ لأنَّ المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي: من جانبه ويسمى التلويح، لأنَّ المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده»[3].

◈ التعريض عند السَّمين الحلبي:

تناول السَّمين الحلبي هذا النوع البلاغي في تفسيره في أسلوب واضح ودقيق، يدل على فهمه له، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بل فعله» هذا الاضطراب عن جملة محذوفة تقديره لم أفعله إنَّما الفاعل حقيقة الله تعالى بل فعله وإسناد الفعل إلى كبيرهم من أبلغ التعاريض»[4].

وذكر الزمخشري إلى أن غرض التعريض هو إلزامهم الحجة وتبكيتهم[5]، وذهب أبو حيان إلى غرض التعظيم في التعريض[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: من الآية ١٦]،

---

(١) مفتاح العلوم، ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٩.

(٣) البرهان، ص٥٠٧.

(٤) الدر المصون: ٥/٩٧.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣/١٢٥.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٦/٣٠٣.

قال السَّمين الحلبي: «قوله: «دبره»... وهذا من باب التعريض، إذ ذكر لهم أنَّ حالةً تُستَهجَنُ من فاعلها، فأتى بلفظ «الدُّبُر» دون الظهر لذلك. وبعضهم من أهل البيان يُسمي هذا النوع كناية، وليس بشيء»[1].

وهذا قريب من رأي ابن عطية الذي قال: «والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة؛ لأنَّها بشعة على الفار ذامة لَهُ»[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة: من الآية ٤٤]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «الذين أسلموا» صفة لـــ«النبيون» وصفهم بذلك على سبيل المدح والثناء لا على سبيل التفضيل فإنَّ الأنبياء كلهم مسلمون، وإنَّما أثنى عليهم بذلك كما تجري الأوصاف على أسماء الله تعالى. قال الزمخشري: «أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح، وأُريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بُعَداءُ عن ملةِ الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، فإنَّ اليهودَ بمعزل عنها»[3].

وهذا هو المشهور بين المفسرين[4].

---

(١) الدر المصون: ٤٠٧/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٨٣/٢.

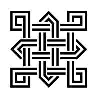
(٣) الدر المصون: ٥٢٨/٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٦٦٩/١، ومدارك التنزيل: ٢٨٤/١، وأنوار التنزيل: ٣٢٧/٢، والبحر المحيط: ٥٠٣/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣١٤/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٤٦/٧.

ومن التعريض أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «والسلام» الألف واللام فيه للعهد، لأنَّه قد قدم لفظه في قوله: «وسلام عليه» فهو كقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: من الآيتان ١٥-١٦] أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليَّ. وقال الزمخشري -بعد ذكره ما قدمته-: والصحيح أنْ يكون هذا التعريف تعريفاً باللعنة على متهمي مريم -عليهما السلام- وأعدائها من اليهود. وتحقيقه: أنَّ اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام علي خاصة، فقد عرَّضَ بأن ضدَّه عليكم، ونظيره: «والسلام على من اتبع الهدى» [طه: من الآية ٤٧]»[1].

وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[2]، قال النسفي مبيناً غرض التعريض: «أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى أن كان حرف التعريف للعهد وإن كان الجنس فالمعنى: وجنس السلام عليَّ وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها؛ لأنَّه إذا قال وجنس السلام عليَّ، فقد عرض بأن ضده عليكم؛ إذ المقام مقام مناكرة وعناد»[3].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[4].



---

(١) الدر المصون: ٤/٥٠٥، وينظر: الكشاف: ٣/١٨.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤/٤٨٤، والبحر المحـيط: ٦/٧٨، وروح المعاني: ١٦/٩٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٣/٦١.

(٣) مدارك التنزيل: ٣/٣٦.

(٤) ينظر: على سبيل التمثيل: ٣/٢١٠، و٥/٢٦٥، و٦/٥٧٨.

الفصل الثالث

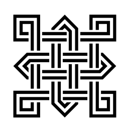
علم البديع في تفسير السَّمين الحلبي

البديع لغةً: بَدَعَ الشيءَ يبدعه بَدعاً وابتدعَهُ: أنشأهُ وبدأهُ، وأبدَعَتْ الشيءَ اخترعَه لا على مِثالٍ سابقٍ... والبديعُ من أسماء الله تعالى، والبديع: الجديد[1].

وهو **في الاصطلاح**: هو علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهو ضربان: معنوي ولفظي[2].

فالبديع المعنوي ما كان التحسين فيه يرجع إلى المعنى والبديع اللفظي ما كان التحسين فيه يرجع إلى اللفظ.

وأوَّل من وضع هذا العلم هو عبد الله ابن المعتز العباسي (ت ٢٧٤هـ)، وقد تابعه في وضع أصول هذا العلم، في عصره، قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ)، ثم جاء بعده كثيرون ألَّفوا في هذا العلم وزادوا فيه، منهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)[3] وابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)[4] وغيرهما.



---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (بدع).

(٢) ينظر: التلخيص، ص٢٤٨، والبيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، ص١٠٧.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: العمدة: ١/٢٦٢.

المبحث الأول

المحسنات المعنوية

◈ أولاً: المشاكلة:

المشاكلة (لغةً): الشكل: الشبهِ والمِثْل، وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه[1].

المشاكلة (اصطلاحاً): هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[2].

وسمَّاه الرماني بالمزاوجة[3]. وقد تناوله الكثير من أهل البلاغة المتقدمين والمتأخرين، وإنَّ أول من أطلق عليه تسمية المشاكلة أبو علي الفارسي كما نص عليه الدكتور أحمد مطلوب[4].

والمشاكلة نوعان: مشاكلة تحقيقية ومشاكلة تقديريَّة[5].

وقد تناول السَّمين الحلبي المشاكلة في تفسيره، وأورد لها تسميات متعددة كما سيأتي في الأمثلة فيسميها مقابلة وازدواج وتجانس ومماثلة إلاَّ أنَّ التسمية الغالبة هي المشاكلة.

ومن أمثلة المشاكلة عند السَّمين الحلبي مما جاء في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (شكل).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٢٤، ومعترك الأقران: ٣١٢/١.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، ص٩٩.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٥٨/٣.

(٥) التلخيص، ص٣٥٦، والإيضاح: ٣٨٤/٢.

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «قال الزمخشري: وهي أي: الصبغة من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله، لأنَّ الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، فأمر المسلمين أن يقولوا: آمنا وصبغنا الله صبغة لا مثل صبغتكم، وإنَّما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصنع الكرم»[1]. وهذا رأي أغلب المفسرين[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة: من الآية ١١٦]، قال السَّمين الحلبي: «وأتى بقوله: «ما في نفسك» على جهة المقابلة والتشاكلِ لقوله: «ما في نفسي» فهو كقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٤]، وكقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: من الآيتان: ١٤-١٥]»[3].

وهذا ما ذكره الرازي وابن جزي وأبو حيان وغيرهم[4]، وسمّاها ابن

---

(١) الدر المصون: ١/٣٨٨، وينظر: الكشاف: ١/٢٢٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٢٠٢، ومدارك التنزيل: ١/٧٣، والبحر المحيط: ١/٥٨٤، وأنوار التنزيل: ١/٤١٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢/٥٢٦، وتفسير السراج المنير: ١/٨٧.

(٣) الدر المصون: ٢/٦٥٦.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٢/١١٢، والتسهيل في علوم التنزيل: ١/٣٤٣، والبحر المحيط: ٤/٦٤، وأنوار التنزيل: ٢/٣٨٣، وإرشاد العقل السليم: ٣/١٠١.

عطية مقابلة لفظية قائلاً: «وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز، وهذا ينظر من طرف فهي كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٤]»[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، قال السَّمين الحلبي: «سمّيت بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]»[(٢)].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[(٣)]، وقال البيضاوي: «أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم، والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة؛ لأنَّها مثل المعاقب عليه، ومنه المثال للقصاص»[(٤)].

◈ ثانياً: الطباق:

الطباق لغةً: قال ابن منظور: «طابقه مطابقة وطِبَاقاً، وتطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد والزقتهما»[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز: ٣٠٩/٢.

(٢) الدر المصون: ٢٢٨/٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٩/٥، وتفسير الجلالين: ٣٢٢/١، وإرشاد العقل السليم: ٦/٥.

(٤) أنوار التنزيل: ٣١٨/٣.

(٥) لسان العرب، مادة (طبق).

الطباق اصطلاحاً: عرَّفه أبو هلال العسكري بقوله: «هي الجمع بين الشيء وضده في جزء منه أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد»[1]، وزاد عليه القزويني: «أي: معنيين متقابلين في الجملة»[2]، ثم قسمه على قسمين: الأول طباق الإيجاب، والثاني: طباق السلب[3].

وقد عرَّفَ مفسرنا السَّمين الحلبي الطباق قائلاً: «الطباق والتضاد، وهو نوع من البديع وهو أن يُذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه»[4].

ومن أمثلته مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واشتملت الآية على أنواع من البديع... منها الطباقُ وهو الجمعُ بين متضادَّين أو شِبهِهِمَا، وذلك في قوله: «تؤتي الملك وتترع» وفي «تعز وتذل»، وفي قوله: «بيدك الخيرُ» أي: والشرُّ عند بعضهم، وفي قوله: «الليل والنهار» وفي قوله: «الحي والميت»»[5].

---

(١) كتاب الصناعتين، ص٣٠٧.

(٢) الإيضاح: ٣٣٤/٢، والتلخيص، ص٣٤٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) الدر المصون: ٢١٤/٦.

(٥) المصدر نفسه: ٥٨/٢.

وهذا ما ذكره أبو حيان[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: من الآية ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقدر» أي: يُضَيِّقُ بدليل مقابلته ليبسُطُ وهذا هو الطباق البديعي»[2].

وهذا مما ذكره ابن عادل والشربيني[3].

وفي مثال آخر ذكر السَّمين الحلبي نوعين للطباق في آية واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إن تبدوا» و«إن تخفوا» نوع من البديع وهو الطباق اللفظي. وفي قوله: «وتؤتوها الفقراء» طباقٌ معنوي[4]، لأنَّه لا يُؤتي الصدقاتِ إلاَّ الأغنياءُ، فكأنَّه قيل: إن يُبْدِ الأغنياءُ الصدقاتِ، وإنْ يُخفِ الأغنياءُ الصدقاتِ، ويُؤتُوها الفقراءَ، فقابلَ الإبداءَ بالإخفاءِ لفظاً، والأغنياءَ بالفقراءِ معنىً»[5].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[6].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢/٤٤٠.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٩.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/٧٢، وتفسير السراج المنير: ٣/٢٥٣.

(٤) هو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/٦٧).

(٥) الدر المصون: ١/٦٥١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢/٣٣٨، واللباب في علوم الكتاب: ٤/٤٢٤، وروح المعاني: ٣/٤٤.

وأمثلته كثيرة[1].

◈ ثالثاً: المقابلة:

المقابلة لغةً: قال ابن منظور: قابل الشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله[2].

وفي الاصطلاح: عرَّفها أبو هلال العسكري بقوله: «المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة»[3].

وتناول السَّمين الحلبي المقابلة في تفسيره، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨]، قال السَّمين الحلبي مُبيناً المقابلة: «قوله: «والبصير» اعلم أنَّ التقابل يجيء على ثلاثِ طرائق:

أحدها: أن يُجاور المناسبُ ما يناسبهُ كهذه الآية.

والثاني: أن يتأخَّر المتقابلان كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ﴾ [هود: من الآية ٢٤].

والثالثة: أن يُقدَّمَ مقابلُ الأول ويؤخِّرَ مقابلُ الآخرَ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٠]، وكل ذلك تَفَنُّنٌ في البلاغة»[4].

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/٤٨٢، ١/٥٠٢، ١/٦٦٤، و٢/٢٥٠، ٤/٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (قبل).

(٣) كتاب الصناعتين: ٣٣٧.

(٤) الدر المصون: ٦/٤٩.

فإنَّ ما سبق يُبيِّن لنا مدى فهم مفسرنا العميق للمقابلة ومعرفته بها، وإن لم يورد نصاً صريحاً للتعريف بها.

وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره من المفسرين[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: «عذب فرات وملح أجاج»»[2].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا المعنى.

ومن المقابلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وفي الآخرة» خبر مقدم، وما بعده مبتدأ، أخبر أنَّ في الآخرة عذاباً شديداً ومغفرةً منه ورضواناً، وهذا معنى حسن، وهو أنَّه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «وجمع الصفتين جمع سلامة وأخرين جمع تكسير؛ لأجل المقابلة، وهو نوع من الفصاحة»[4].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٢/٧، واللباب في علوم الكتاب: ٧٤/١٧، وتفسير السراج المنير: ٣٩٢/٣، وصفوة التفسير: ١٥٩/٣.

(٢) الدر المصون: ٢٥٨/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٩/٦.

(٤) الدر المصون: ٣٦٦/١.

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

وأمثلته كثيرة[1].

◈ رابعاً: الالتفات وأنواعه:

الالتفات لغةً: قال ابن منظور: لفتَ وجههُ عن القومِ: صرَفَهُ، والتفتَ التفاتاً... والتفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال لَفَتَ فلاناً عن رأيه، أي: صرفته، ومنه الالتفات[2].

وهو **في الاصطلاح:** عرَّفه ابن المعتز بقوله: «هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه معنى آخر»[3].

وعرف هذا الأسلوب من العلماء منذ عهد مبكر، وقد أدى ذلك إلى افتنانهم به وتصرفهم فيه، حتى سمِّيت بتسميات عدة تكاد تتفق في المعنى اللغوي لهُ، فالفراء سمَّاه (الانتقال) في كتابه[4]، وعدَّه أبو عبيدة باباً من أبواب المجاز، إذ أطلق عليه الترك والتحويل[5]. وسمّاه ابن قتيبة مخالفة ظاهر اللفظ معناه[6]. وقد تناوله أغلب علماء العربية بتسميات مختلفة لكنها تدور في فلك واحد، وهو الالتفات أو العدول.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٢/١، ٢٢٠/٢، ٥٢/٣، ٣٩١/٣، ٤٥٩/٣، ٤٥/٤، ٤٦٥/٥، ٤٩/٦، ٥٣٥/٦، ٥٨٢/٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (لفت).

(٣) البديع، ص١٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٦٠/١.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ٣١١/١، و٢٣٩/٢، وينظر: فن الالتفات في البلاغة العربية، ص١٣.

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص٨٩.

وللالتفات فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملآل، لِما جُبِلت عليه النفوس من حُبِّ التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة(1).

أما الخاصة فتختلف بخواص مجالاتها، وقد ذكرها الزركشي وهي بحسب الأغراض، منها للتعميم، والتنبيه، والتتميم، والمبالغة، والاختصاص، والاهتمام، والتوبيخ(2).

ولأهمية هذا الأسلوب في إعطاء النص إيحائيَّة عالية ودلالة قوية نجده كثيراً ما يتكرر في آيات القرآن الكريم مما جعل أكثر المفسرين يهتمون به اهتماماً ملحوظاً، ومنهم مفسرنا السَّمين الحلبي الذي كان ملمَّاً بكل آية تحمل التفاتاً فيذكره ويذكر غرضه البلاغي ويحلله، ونجد ذلك في مواضع كثيرة من تفسيره.

١- الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢٠-٢١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «هذا يوم الفصل» من قول الباري تعالى، وقيل الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله: «تكذبون» إما التفاتاً من التكلم إلى الخطاب وإما مخاطبة بعضهم لبعض»(3).

---

(١) ينظر: البرهان، ص٨٢٧، والإتقان: ٣/٢١٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٢٧-٨٢٩.

(٣) الدر المصون: ٥/٤٩٩.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ومالي لا أعبد» أصل الكلام: وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام أسرع قبولاً»[(١)].

وهذا التوجيه للمعنى موافق لآراء المفسرين[(٢)]، قال الشربيني: «أصله: وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون الكلام أسرع قبولاً حيث أراد لهم ما أراد لنفسه والمراد: تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره»[(٣)].

٢- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: من الآية ٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إلاَّ اللهَ» استثناء مفرغ، لأنَّ ما قبله مفتقرٌ إليه. وفيه التفاتٌ من التكلم إلى الغيبة، إذ لو جرى الكلامُ على نَسَقَه لقيل: لا تعبدون إلاَّ إيانا، لقوله: «أخذنا». وفي هذا الالتفات من الدلالة على عِظَم هذا الاسم والتفرُّد به ما ليس في المُضمر»[(٤)].

وهذا رأي أبي حيان[(٥)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ

---

(١) الدر المصون: ٤٧٩/٥.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/٣، والبحر المحيط: ٣١٥/٧، وروح المعاني: ٢٢٦/٢٢.

(٣) تفسير السراج المنير: ٢٨٥/٣.

(٤) الدر المصون: ٢٧٦/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٤٥١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٢٩/٢.

﴿بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «آمنوا بربهم» فيه التفات من المتكلم إلى الغيبة، إذ لو جاء على نسق الكلام، لقيل: إنهم فتيةٌ آمنوا بنا»[١]. وذكر أبو حيان غرض الالتفات قائلاً: «وفيه التفات إلى التكلم؛ لزيادة الاعتناء بشأنهم»[٢]، وقال أبو السعود: «الالتفات للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم»[٣].

٣- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

نحو قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٠]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إن أراد النبي» التفات من الخطاب إلى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيهاً على أن مسبب ذلك النبوة»[٤].

وذكر أبو السعود أن الالتفات للتكرمة[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: من الآية ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «بهم» فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة»[٦]. فبين نوع الالتفات من

---

(١) الدر المصون: ٤/٤٣٨.

(٢) البحر المحيط: ٤/٢٠٦.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٥/٢٠٩.

(٤) الدر المصون: ٥/٤٢١.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٧/١٠٩.

(٦) الدر المصون: ٤/١٧.

دون ذكر غرضه، ولكنه نقل آراء العلماء في بيان غرض الالتفات في الآية الكريمة، فنقل رأي الزمخشري قائلاً: «قال الزمخشري: فإن قُلتَ: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة كأنَّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح»(١).

وبعد ذلك يذكر رأي ابن عطية في هذا الالتفات قائلاً: «وقال ابن عطية: «بهم» خروج من الخطاب إلى الغيبة، وحسن ذلك، لأنَّ قوله: «كنتم في الفلك» هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضكم في السفن»(٢).

ونراه هنا يُناقش رأي ابن عطية ويردُ عليه قوله في الالتفات قائلاً: «فقدر اسمها غائباً، وهو ذلك المضاف المحذوف، فالضمير الغائب يعود عليه ومثله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠]، تقديره: أو كذي ظلمات، وعلى هذا فليس من الالتفات في شيء»(٣).

وذكر السَّمين الحلبي أيضاً رأي أبي حيان في غرض الالتفات قائلاً: «وقال الشيخ: والذي يظهر أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله: «هو الذي يسيركم» خطاب فيه امتنان وإظهار نِعَمَهُ للمخاطبين المُسيَّرين في البر والبحر مؤمنين وكفاراً، والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة، ولمَّا كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق»(٤).

---

(١) المصدر نفسه: ٤/١٧، وينظر: الكشاف: ٢/٣٢٣.

(٢) الدر المصون: ٤/١٧، وينظر: المحرر الوجيز: ٣/١٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٧.

(٤) المصدر نفسه: ٤/١٧، وينظر: البحر المحيط: ٥/١٤٢.

٤- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «نزلنا» التفاتٌ من الغيبةِ إلى التكلُّمِ؛ لأنَّ قبله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: من الآية ٢١]، فلو جاء الكلامُ عليه لقيل: مما نزَّل على عبده، ولكنه التفت للتفخيمِ»[1].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، قال السَّمين الحلبي: «وجملةُ «قلنا» في محلٍّ خفضٍ بالظرف، وفيه التفاتٌ من الغيبةِ إلى التكلمِ للعظمة»[3].

وقال أبو السعود: «والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: من الآية ٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فأنبتنا» هذا التفات من الغيبة إلى التكلم لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأنَّ إنباتَ الحدائقِ المختلفة الألوان والطُّعُومِ مع سقيها بماءٍ واحدٍ

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٥٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١/٢٤٥، واللباب في علوم الكتاب: ١/٤٣٣، وروح المعاني: ١/١٩٣.

(٣) الدر المصون: ١/١٨٥.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١/٨٧.

لا يقدِرُ عليه إلاَّ وحده»[1].

وهذا التوجيه للمعنى موافق لما ذكره أغلب المفسرين[2]. وذهب البقاعي إلى غرض العظمة قائلاً: «عدل إلى التكلم على وجه العظمة فقال: «أنبتنا» أي: بما لنا من العظمة»[3]. وأمثلته متعددة[4].

٥- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومثله مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إياك نعبد» التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ إذ لو جرى الكلام على أصله لقيل: الحمد لله، ثم قيل: إياه نعبد، والالتفات: نوع من البلاغة»[5].

وهذا ما ذكره أكثر المفسرين[6]، قال ابن جزي: «ذكر الله تعالى في أول السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده وذلك يسمى الالتفات وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه»[7].

---

(١) الدر المصون: ٣٢٢/٥.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٨٠/٣، والبحر المحيط: ٨٤/٧، وأنوار التنزيل: ٢٧٣/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٨٦/١٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣١٣/٥.

(٣) نظم الدرر: ٤٣٧/٥.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٥١٩/١، ٥٦٤/١، ١٨٥/٢، ٤٩/٣، ٣٥٧/٤، ٤١٣/٥.

(٥) الدر المصون: ٧٥/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٦٥/١، والكشاف: ٥٥/١، والبحر المحيط: ١٣٩/١، وأنوار التنزيل: ٦٣/١، وإرشاد العقل السليم: ١٦/١.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل: ٦٤/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «والخطاب في «إنَّ ربكَ» للرسول محمد ﷺ. وقيل: لإبراهيم الخليل، فعلى هذا يكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب منبهاً بذلك على تشريفه له»[١].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وأمثلته كثيرة[٢].

◈ خامساً: اللف والنشر:

قال ابن منظور: «اللَّف: الصنفُ من الناس من خيرٍ أو شرٍ، والتفَّ الشيء تجمع وتكاثف، والنَّشرُ، أنشر الله الريح: أحياها بعد موت وأرسلها نشراً ونشراً»[٣].

وعرَّفها السكاكي قائلاً: «اللف والنشر: وهما أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأنَّ السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له»[٤]. وقد ذكره القزويني قائلاً: «وهو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد، ثقة بأن السامع يرده إليه»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٣/١١٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٥٨٥، ١/٦٤٢، ٢/٢٤٧، ٣/٣٦٧، ٣/٤٠٥، ٢/٤٤٠، ٣/٤٧٩، ٣/٥٠٧، ٤/٤٨٧، ٥/٢٣٢، ٦/٣٣٥.

(٣) لسان العرب، مادة (لف) و(شر).

(٤) مفتاح العلوم، ص٤٢٥.

(٥) التلخيص، ص٣٦١.

ثم قسَّمه على حزبين: الأول: أنْ يكون النشر على ترتيب اللف. والآخر: أنْ يكون النشر على غير ترتيب اللف(١).

وتحدث السَّمين الحلبي عن اللف والنشر وذكر أمثلة متعددة في تفسيره، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال السَّمين الحلبي: «وأصله: يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربك لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب خيراً، قبل ما تكسبه من الخير بعد، فلفَّ الكلامين، فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبلاغة»(٢).

وهذا ما ذكره بعض المفسرين(٣).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «وقد أحسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال: شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق... قلتُ: يريد بقوله: اللف أنَّه لفَّ المؤمنين والكافرين اللذين هما مشبهان بقوله: «الفريقين»، ولو فسرهما لقال: مثل الفريقين المؤمن كالبصير، ومثل الكافر كالأعمى والأصم، وهي عبارة مشهورة في علم البيان. لفظتان

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٢/٣٥٥، والتلخيص، ص٣٦٢.

(٢) الدر المصون: ٣/٣٢٥.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨/٥٢٩، وروح البيان: ٣/٩٤، وصفوة التفسير: ١/٢٨٦.

متقابلتان اللف والنشر. وأشار لقول امرئ القيس:

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رطباً ويابساً　　　لدى وكرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي[1]

أصل الكلام: كأن الرطب من قلوب الطير العناب واليابس منها الحشف فلفه ونشر، وللف والنشر في علم البيان تقسيم كبير»[2].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي وغيرهم[3]، قال البقاعي: «وهو من باب اللف والنشر المرتب»[4].

وأمثلته متعددة[5].

◈ سادساً: الاستطراد:

الاستطراد لغةً: قال ابن منظور: «واطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى. واطرد الأمر: استقام، واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً، واطرد الكلام إذا تتابع»[6].

الاستطراد اصطلاحاً: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبةٍ بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول»[7].

---

(١) ديوانه، ص١٤٥.

(٢) الدر المصون: ٤/٨٩-٩٠.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/٣٦٧، وأنوار التنزيل: ٣/٢٢٩، والتحرر والتنوير: ١١/٢٣٦.

(٤) نظم الدرر: ٣/٥١٩.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٥/٣٤٩، ٥/٤٤٥.

(٦) لسان العرب، مادة (طرد).

(٧) ينظر: الإيضاح: ١/١١٣، ونهاية الإرب في فنون الأدب: ٢/٣٠٢.

وقد عرّف السَّمين الحلبي هذا اللون البلاغي بقوله: «وهو أن يمدح شيئاً أو يذمه، ثم يأتي آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله»[1]، وذكر له أمثلة قليلة أذكر منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٨-٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «قد أفلح» فيه وجهان: أحدهما: أنَّه جواب القسم والأصل «لقد» وإنَّما حذفت لطول الكلام. الثاني: أنَّه ليس بجواب وإنَّما جيء به تبعاً لقوله: «فألهمها فجورها وتقواها» على سبيل الاستطراد»[2].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور بين المفسرين[3].

◈ سابعاً: التقسيم:

التقسيم لغةً: قال ابن منظور: قَسَّمَ: جَزَّأَ، والتقسيم هو تجزئة الشيء وتفريقه[4].

التقسيم اصطلاحاً: اختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأنَّ السامع يرده إليه، وعرَّفه السكاكي بقوله: «هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك»[5].

---

(١) الدر المصون: ١٢٧/٤.

(٢) الدر المصون: ٥٣١/٦. وينظر: ٤٥٦/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٧٦٤/٤، ومدارك التنزيل: ٣٢٢/٤، والبحر المحيط: ٤٧٥/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٣٦٢/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٣٩٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٦٤/٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (قسم).

(٥) مفتاح العلوم، ص٢٠١.

وقد ذكر السَّمين الحلبي التقسيم في أمثلة متعددة في تفسيره منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [الزمل: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من ثلثي الليل» العامة على ضم اللام وهو الأصل كالرُّبُع والسُّدُس، وقرأ هشام بإسكانها تخفيفاً، قوله: «نصفه وثلثه» قرأ الكوفيون وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما... فالنصب نسقاً على «أدنى»؛ لأنَّه بمعنى وقت أدنى أي: أقرب استعير الدنوّ لقرب المسافة في الزمان، وهذا مطابق لما في أول السورة من التقسيم، وذلك أنَّه إذا قام أدنى من ثلثي الليل صدق عليه أنَّه قام الليل إلاَّ قليلاً؛ لأنَّ الزمان لم يقم فيه يكون الثلث وشيئاً من الثلثين فيصدق عليه قوله: «إلاَّ قليلاً» وأما قوله: «ونصفه» فهو مطابق لقوله: أولاً «نصفه»»[(١)].

هذا ما نقله من أبي حيان[(٢)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: ««ثلة» أي: من السابقين يعني أن التقسيم يقع في السابقين»[(٣)].

وهذا رأي أبي حيان[(٤)].

وأمثلته متعددة[(٥)].

---

(١) الدر المصون: ٤٠٩/٦، والحجة، ص٧٣١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٨/٨.

(٣) الدر المصون: ٥٥٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١٨٤/٣، ٢٣/٤، ١٢٨/٤، ٤٠٨/٤.

◈ ثامناً: التجريد:

التجريد لغةً: قال ابن منظور: «جرد الشيء: يجرده جرداً وجرَّدهُ: قشَّرهُ»[(١)].

التجريد اصطلاحاً: وهو أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرٌ مثلُهُ فيها مبالغة لكمالها فيه»[(٢)].

وقد تناول السَّمين الحلبي التجريد في تفسيره، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، فقال: «قوله: «فإذا انشقت» جواب مقدر. أي: رأيت هولاً عظيماً. أو كان ما كان، قوله: «وردة» أي: مثل وردة... وهو من الكلام الذي يسمى التجريد»[(٣)].

وهو رأي الزمخشري الذي قال: «وقرأ عمرو بن عبيد (وردة) بالرفع، بمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد، كقوله: فلَئِنْ بقيتُ لأرحَلنْ بِغَزوَة»[(٤)].

وتبعه أبو حيان والبيضاوي وأبو السعود[(٥)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قال السَّمين

---

(١) لسان العرب، مادة (جرد).

(٢) التلخيص، ص٣٦٨.

(٣) الدر المصون: ٦/٢٤٤.

(٤) الكشاف: ٤/٤٤٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٩٤، وأنوار التنزيل: ٥/٢٧٨، وإرشاد العقل السليم: ٨/١٨٢.

الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «قوله: «من أزواجنا» يجوز أن تكون من لابتداء الغاية وأن تكون للبيان قاله الزمخشري وجعله من التَّجريد أي: هَبْ لنا قُرَّة أعينٍ مِنْ أزواجنَا كقولك: «رأيتَ منكَ أسداً»»[١].

وفسَّر أبو حيان الآية بهذا المعنى من دون ذكر لفظ التجريد[٢].

وأمثلته متعددة[٣].

◈ تاسعاً: التورية:

التورية لغةً: قال ابن منظور: «ورِّيتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت عنه سترته وأظهرت غيره، والتورية الستر»[٤].

وهي **عند البلاغيين:** أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما[٥]. اعتمادا على قرينة خفية، والمراد بالقريب ما يقرب من الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه، ويسمى (المورى به) أي: الذي حمل به الخفاء، والمراد بالبعيد ما بعد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه، ويسمى (المورى عنه) أي: الذي وقع عليه الخفاء. والمعنى القريب في التورية يستر المعنى البعيد ويخفيه، حتى كأن المعنى البعيد وراءه وخلفه، وهذا وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتورية[٦].

---

(١) الدر المصون: ٢٦٥/٥، وينظر: الكشاف: ٣٠٢/٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٧٤/٦.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١١٤/١، ٦٢٩/١، ٤٣١/٢-٤٣٢، ٦٥٢/٢، ٤٩٢/٤، ٢٦٠/٥.

(٤) لسان العرب، مادة (ورى).

(٥) ينظر: الإيضاح: ١٣٣/١.

(٦) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، ص١٢٨.

ولذلك تسمى الإيهام، والتخييل، والمغالطة، ورجح الحموي مصطلح التورية لقربه من مطابقة المسمى[1].

والتورية أربعة أنواع: التورية المبنية، والتورية المجردة، والتورية المرشحة، والتورية المهيأة[2].

وذكر السَّمين الحلبي التورية في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: من الآية ٨٥]، فقال: «قوله: «تفتأ» هذا على جواب القسم في قوله: «تالله» وهو على حذف «لا» أي: لا تفتأُ، ويدل على حذفها أنَّه لو كان مثبتاً لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معاً عند البصريين، أو إحداهما عند الكوفيين، وتقول: «واللهِ أُحبكَ»، تريد: لا أحبك، وهو من التورية، فإنَّ كثيراً من الناس يتبادر ذهنه إلى إثبات المحبة»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

◈ عاشراً: الاستدراج:

لغةً: الاستدراج من استدرج، استدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج فتدرَّج هو، وفي التتريل العزيز: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، أي: سنأخذهم قليلاً قليلاً ولانباغتهم، وقيل: إنَّ معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون[4].

---

(١) ينظر: المثل السائر: ٢/٢١٥، وتحرير التحبير، ص٢٦٨، ومفتاح العلوم، ص٢٠١، وخزانة الأدب، ص٢٣٩.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٣٨٦.

(٣) الدر المصون: ٤/٢٠٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (درج).

وفي الاصطلاح البلاغي: هو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطربه؛ لأنَّ مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه[1].

وعرف السَّمين الحلبي الاستدراج بقوله: «وهو أن يَذكُرُ لمخاطبِهِ أمراً يُسلِّمُهُ وإن كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي إلى ما يلقيه إليه؛ إذ لو بدأه بما يكره لم يصغ»[2]. ومثل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أو إياكم» عطف على اسم إنَّ وفي الخبر أوجه:

أحدها: أنَّ الملفوظ به «خبرُ» الأول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي: وإنَّا لعلى هدىً أو في ضلال.

والثاني: العكس أي: حذف الأول والملفوظ به خبر الثاني وهو خلاف المشهور... وهذان الوجهان لا ينبغي أن يُحملا على ظاهرها قطعاً؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يَشُكَّ أنَّه على هدىً ويقين، وأنَّ الكفار على ضلال وإنَّما هذا الكلام جارٍ على ما يتخاطبُ به العربُ من استعمال الإنصافِ في محاوراتهم على سبيلِ الغَرْضِ والتقدير. ويسميه أهل البيان الاستدراج... ونظيره قولهم: أخزى اللهُ الكاذبَ مِنِّي ومنكَ. ومثله قول الآخر:

فأيُّ ما وأيُّـــك كـــان شَــرًّا ... فقِيدَ إلى الْمُقامَـــةِ لا يراهـــا[3]

---

(١) ينظر: الجامع الكبير، ص٢٣٥، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/١٢٠.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٥.

(٣) البيت للعباس بن مرداس، ديوانه، ص١٤٨.

وقول حسان رضي الله عنه:

أَتَهجُوهُ ولسْتَ لـهُ بِكُـفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لخيرُكُمَا الفِـدَاءُ[1]

مع العلمِ لكل أحدٍ أنَّه ﷺ خير خلق الله كلهم»[2].

وذكر ابن عطية هذا المعنى من دون التصريح بلفظ الاستدراج قائلاً: «وقوله تعالى: «وأنا أو إيَّاكم» تلطف في الدعوة والمحاورة...»[3]، وتبعه الزمخشري والنسفي والنيسابوري[4].

◈ أحد عشر: المبالغة:

لغةً: لها تعريفات متعددة. منها: «الباء واللام والعين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت الشيء إذا وصلتَ إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغاً عن المقاربة، والبُلغَة ما يتبلّغُ به من عيش وكأنَّه يراد أنَّه يبلُغُ رُتبة المكثرُ إذا رضي ومَنعَ، وبالغ يبالغ مبالغة وبلاغاً إذا اجتهد في الأمر والمبالغة أن تبلغ في الأمر جهدك»[5].

ولأجل هذه الدلالة صحَّ أن تطلق وصفاً لمن يبذل أقصى الغاية من جهده وطاقته في الأمر. فالمبالغة ومادها مؤشر نهاية في الأمر ليس بعده من مزيد[6]. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري.

---

(١) ديوانه، ص٧٦.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٤/٤٨٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/٥٩٠، ومدارك التنزيل: ٣/٣٢٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥/٤٩٦.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١/٣٠٢، وينظر: لسان العرب: مادة (بلغ).

(٦) ينظر: أساس البلاغة، ص٥٠.

وفي الاصطلاح: عرَّفها الرماني بقوله: «هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة»[1]، وحدَّها أبو هلال العسكري بقوله: «المبالغة: أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه»[2].

وقسّمها البلاغيون على ثلاثة أقسام: تبليغ وإغراق وغلو، وهذا هو التقسيم الشائع عند جمهور البلاغيين قديماً وحديثاً. والذي ثبت عند أهل التفسير ضربان:

الأول: مبالغة في الوصف بأن يخرج إلى حدِّ الاستحالة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: من الآية ٣٥]. ومنه أيضاً: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][3].

والثاني: مبالغة بالصيغة، وصيغ المبالغة هي: (فعلان) و(فعيل) و(فَعَّال) و(فَعول) و(فَعِلٌ) و(فُعال) و(فُعُلٌ) و(فُعلى).

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى كمٍ كثير من شواهد المبالغة في تفسيره، وقد تناول أغلب صيغها التي ذكرها البلاغيون، ومنها ما قاله في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «في شقاق» خبر لقوله: «هم»، وجعل الشقاق ظرفاً لهم، وهم مظروفون له مبالغة في الإخبار باستعلائه عليهم، وهو أبلغ من قولك هم مشاقون»[4].

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ص٩٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/١٨٢.

(٢) كتاب الصناعتين، ص٣٦٥.

(٣) ينظر: شروح التلخيص: ٤/٣٦٦، والإتقان: ٣/٢٤٠.

(٤) الدر المصون: ١/٣٨٧.

وهذا قريب مما ذكره أبو حيان بقوله: «فالشقاق مسوّل عليهم من جميع جوانبهم، ومحيط بهم إحاطة البيت بمن فيه. وهذه مبالغة في الشقاق الحاصل لهم بالتولي»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «الودود» الودود: مبالغة في الوادِّ»[2].

وهو ما ذكره أبو حيان والآلوسي[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «عجاب» مبالغةٌ في عجيبٍ كقولهم رجل طُوَال وأمرٌ شراع فهما أبلغُ من طويلٍ وسريعٍ»[4].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان والبيضاوي والبقاعي وأبو السعود[5].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧]، قال السَّمين الحلبي: «والمُدَّخل: مُفتَعل مِنَ الدخول وهو بناء مبالغة في هذا المعنى»[6]. وهو رأي ابن جزي وأبي حيان[7].

---

(١) البحر المحيط: ٥٨٢/١.

(٢) الدر المصون: ٥٠٤/٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٤٥/٨، وروح المعاني: ٩٢/٩.

(٤) الدر المصون: ٥٢٥/٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٩/٧، وأنوار التنزيل: ٣٦/٥، ونظم الدرر: ٣٥٩/٦، وإرشاد العقل السليم: ٢١٥/٧.

(٦) الدر المصون: ٤٧٤/٣.

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٤/١، والبحر المحيط: ٥٦/٥.

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

◈ أولاً: التجنيس:

لغةً: قال ابن منظور: «يقال: هذا يجانس هذا أي: يشاكله»[1].

وفي الاصطلاح: عرفها ابن المعتز بقوله: «وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»[2].

وأدخله السكاكي ضمن المحسنات اللفظية قائلاً: «وهو تشابه الكلمتين في اللفظ»[3].

وقال عنه القزويني: «وأما اللفظي: فمنهُ الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ، والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها»[4]. وهو ضرب من التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه الكلي، أو الجزئي في تركيب الألفاظ، فهذا التشابه في الجرس يدفع إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى»[5].

وقد تناول السَّمين الحلبي التجنيس في تفسيره وعُني به، وحدَّد قسماً من أنواعه التي ذكرها البلاغيون في كتبهم.

---

(١) لسان العرب، مادة (جنس).

(٢) كتاب البديع، ص٢٥.

(٣) مفتاح العلوم، ص٤٢٩.

(٤) التلخيص، ص٣٤٨.

(٥) ينظر: جرس الألفاظ، ص٢٨٤.

ومما جاء في تفسيره من أنواع الجناس: تجنيس التحريف: وعرَّفه السَّمين الحلبي بقوله: «التجنيس المُحرَّف وهو أن يقع الفَرْقُ بين اللفظين بحرف»[1]، ومثل لهُ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، فقال: «قوله: «تفرحون.. تمرحون» من باب التجنيس المُحَرَّف»[2].

وهذا ما نقله من أبي حيان[3].

وذكر أيضاً تجنيس التشكيل: وعرفه قائلاً: «وهو أن يكون الشكل فارقاً بين الكلمتين»[4]، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤]، قال السَّمين الحلبي بعد ذكر قراءات الآية: «... فهذه ست قراءات، وفي بعضها وهو تخالف الفعلين من صناعة البديع تجنيس، يسمى تجنيس التشكيل...، وسماه أسامة بن منقد تجنيس التحريف، وهذه التسمية فظيعة، وتسميته بتجنيس التشكيل أولى»[5].

وهذا الرأي ذكره أبو حيان[6].

ومن أنواع التجنيس التي ذكرها السَّمين الحلبي تجنيس التصريف: وعرَّفه بقوله: «وهو أن تشترك الكلمتان في لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس في

---

(١) الدر المصون: ٥٢/٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥٢/٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٥/٣، وتفسير السراج المنير: ٣٩٧/٣.

(٤) الدر المصون: ٢١/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢١/٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٩٠/٤.

الأخرى»[1]، وذكر أمثلة متعددة منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «ينهون عنه، وينأون عنه» انفردت بالهاء، و«ينأون» بالهمزة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ﴾ [الكهف: من الآية ١٠٤]... وقوله ﷺ: (الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ)[2]»[3].

وهذا ما ذكره أبو حيان[4].

وأمثلته متعددة[5].

وذكر أيضاً التجنيس المماثل:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقد اشتملت هذه الآية على أنواع من البديع منها: التجنيس المماثلُ في قوله: «ولا تكتموا الشهادة ومَنْ يكتُمْها»[6].

وهذا ما ذكره أبي حيان[7].

---

(١) الدر المصون: ٢٠١/٤، وينظر: ٣٥/٣، و٣٠٥/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب (الزكاة)، باب (الخيل معقود في نواصيها...): ٢٨٤٩: ٢٩٨/٧.

(٣) الدر المصون: ٣٥/٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٠٤/٤، وإتمام الدراية لقراء النقاية، ص١٣٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٢٠٨/٤، ٣٠٥/٥.

(٦) الدر المصون: ٦٩٠/١.

(٧) ينظر: البحر المحيط: ٣٧٤/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥١٤/٤.

وذكر تجنيس التغاير: قال المصري: «هو أن تكون إحدى الكلمتين اسماً والآخر فعلاً»[1]، وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٦]، فقال: «وقد اشتملت هذه الآية على نوعين من البديع... والثاني: تجنيس التغاير في قوله: «الربا ويربى»؛ إذ أحدهما اسمٌ والآخرُ فِعْلٌ»[2]. وهو رأي أبي حيان[3]. وأمثلته متعددة[4].

◈ ثانياً: رد العجز على الصدر:

الرد: صرف الشيء ورجعه، والمراد مصدر رددت الشيء[5].

وهو **في الاصطلاح**: لون من ألوان المماثلة اللفظية قوامه أن يرد المتكلم إعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض[6]، ويسمى التصدير[7]، قال ابن القيم الجوزية: «رد العجز على الصدر ويسمى التصدير من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان»[8].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا اللون البديعي في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٢]،

---

(١) تحرير التحبير، ص١٠٤، وبديع القرآن، ص٢٨، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٧٢/٢.

(٢) الدر المصون: ٦٦٤/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٠/٢.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٦٩٠/١.

(٥) لسان العرب، مادة (ردد).

(٦) ينظر: البديع في علم البديع، ص١٤٥.

(٧) ينظر: تحرير التحبير، ص١١٦، وخزانة الأدب، ص١١٤.

(٨) الفوائد المشوق، ص٢٦٤.

فقال: «وفي هاتين الجملتين ما يسميه أهل البديع: رد الإعجاز على الصدور كقولهم: (عادات السادات، سادات العادات)، ومثله في المعنى قول الشاعر:

وَلَيسَ الذِي حَلَّلتِـهِ بِمُحَلَّـلِ وليسَ الذي حرَّمته بحرَام[1]»[2]

وقال الزمخشري: «قلت: أما كفى قوله: «ما عليك من حسابهم من شيء» حتى ضم إليه «وما من حسابك عليهم من شيء؟ قلت: قد جُعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بهما مؤدى واحد»[3].

وهذا رأي أبي حيان والشربيني[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واشتملت هذه الآية على أنواع البديع... ومنها: رَدُّ الأعجازِ على الصدور، والصدور على الإعجاز في قوله: «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل» وفي قوله: «وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي»»[5].

وهو ما ذكره أبو حيان[6].

---

(١) البيت للبحتري وهو في ديوانه: ٣/٢٠٠١.

(٢) الدر المصون: ٣/٧٠.

(٣) الكشاف: ٢/٢٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤/١٤١، وتفسير السراج المنير: ١/٣٣٦.

(٥) الدر المصون: ٢/٥٨.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢/٤٣٨.

◈ ثالثاً: الترصيع:

لغةً: قال ابن منظور: «رصع الشيء: عقده عقداً مثلثاً متداخلاً، وإذا أخذت سيراً فعقدت فيه عقداً مثلثة فذلك الترصيع. والتَّرصيع: التركيب، يقال: تاج مُرصَّعٌ بالجوهر وسيف مُرصَّعٌ أي: محلّى بالرصائع وهي حلق يُحلّى بها الواحدة رصيعة، ورصع العقد بالجوهر: نظمه فيه وضمَّ بعضه إلى بعض»[1].

وهو **في الاصطلاح البلاغي**: عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها[2]. وعرَّفها السكاكي بقوله: «هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الإعجاز»[3].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، فقال: «وقد وُجِد هنا نوعٌ من أنواعِ البديع وهو الترصيعُ، وهو عبارةٌ عن تسجيع الكلام، وهو هنا في موضعين، أحدهما «اتبعوا من الذين اتبعوا» ولذلك حَذَفَ عائد الموصولِ الأولِ فلم يقل: من الذين اتَّبعوهم لفوات ذلك. والثاني: «ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» وهو كثيرٌ في القرآن: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٧]»[4].

وهذا رأي أبي حيان[5].

---

(١) لسان العرب، مادة (رصع).

(٢) ينظر: خزانة الأدب: ٤٠٩/٢.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٨٧.

(٤) الدر المصون: ٤٣١/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦٤٧/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٤٦/٣، وصفوة التفسير: ٤٧/١.

◈ رابعاً: التضمين:

ضمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أودعه إياه كما تودع الوعاءَ المتاعَ، وقد تضمَّنَه هو، والمضمَّن من الشعر ما ضمنته بيناً[(١)].

وهو في الاصطلاح يطلق على أشياء:

أحدها: إيقاع لفظٍ موقع غيره؛ لتضمنه معناهُ، وهو نوع من المجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكرٍ لهُ باسم هو عبارة عنهُ، وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: تعلُّق ما بعد الفاصلة بها، وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم؛ وهذا هو النوع البديعي[(٢)]. والتضمين بلاغياً هو استعارة كلام الآخر وإدخاله في الكلام الجديد[(٣)].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة كثيرة لهذا اللون البديعي في تفسيره أذكر منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣]، قال السَّمين الحلبي: ««يستحبون» استفعَلَ فيه، بمعنى أفعل، كـ«استجَاب»، بمعنى: أجاب... وضمن معنى الإيثار، ولذلك عدى بـ«عَلَى»»[(٤)].

وهذا رأي الراغب الأصفهاني الذي قال: «أي: إن آثروه عليه، وحقيقته

---

(١) لسان العرب، مادة (ضمن)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: الإتقان: ٣/ ٢٢٩، ومعترك الأقران: ١/ ٣٠٢.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٣٦٥، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢/ ٢٦٣.

(٤) الدر المصون: ٤/ ٢٥١.

الاستحباب: أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه، واقتضى تعديته بـــ(على) وحتى الإيثار»[1]، وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بالملأ» متعلق بـــ«من علم» مُضمَّنٌ معنى الإحاطة فلذلك تعدى بالباء»[3].

وهو ما ذكره بعض المفسرين[4].

وأمثلته متعددة[5].

◈ خامساً: القلب:

القلبُ لغةً: تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يَقلُبُه قلباً[6].

وهو **في اصطلاح البلاغيين:** من الخروج على مقتضى الظاهر وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر[7].

---

(١) المفردات: ٢٠٦/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٩٣/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٣٣٣/١١، والتحرير والتنوير: ٢١٨/١٢.

(٣) الدر المصون: ٥٤٤/٥.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٥١/١٦، وتفسير السراج المنير: ٣٤٤/٣، والتحرير والتنوير: ١٨٧/٢٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١٢٣/١، ٤١/٣، ١٢٠/٣، ٣٦٥/٣، ٥٢٦/٤، ٣٤٠/٦.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (قلب).

(٧) ينظر: شروح التلخيص: ٤٨٦/١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٤٠/٣.

وتكلم السكاكي عن هذا النوع البديعي بعد أن جعله من المحسنات اللفظية فقال: «إنَّ هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب، وهي شعبة من الإخراج، لا على مقتضى الظاهر، ولها شيوع في التراكيب، وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها إلاَّ كمال البلاغة، تأتي في الكلام وفي الأشعار وفي التتريل، يقولون: عرضت الناقة على الحوض يريدون عرضت الحوض على الناقة»[1].

وقد تناول السَّمين الحلبي هذا اللون البديعي في تفسيره بالشرح والتفصيل وتكلَّم في مسألة مشروعيته أهي جائزة أم لا، قائلاً: «وللناس فيه -أي القلب- ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً، المنع مطلقاً، التفصيل بين أن يفيد معنى بديعاً فيجوز، أو لا فيمتنع»[2].

ومن خلال تتبعي لهذا النوع في تفسيره وجدت أنه يُجيز وقوع القلب إذا دلَّ على معناً بديعياً، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]، قال: «وأضيف «ذائق» إلى ضمير «كل» باعتبار لفظها، ويكون هذا من باب القلب في الكلام؛ لأنَّ النفس هي التي تذوقُ الموتَ وليسَ الموتُ يذوقُها، وهنا جَعَلَ الموتَ هو الذي يذوق النفس قلباً للكلام لفهم المعنى، كقولهم: (عَرَضْتُ الناقة على الحوض)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: من الآية ٢٠]، و(أدخَلْت القَلنسوة في رأسي). وقوله:

مِثْلَ القَنَافِذِ هَدَّاجُون قَدْ بَلَغَتْ ... نجرَانُ أَوْ بُلِّغَتْ سَوْءَاتِهِمْ هَجَـــرُ[3]

(١) مفتاح العلوم، ص٤١١.

(٢) الدر المصون: ٣/٣١٤.

(٣) البيت للأخطل وهو في ديوانه، ص٢٠٩.

الأصل: عرَضْتُ الحوض على الناقة، ويوم تُعرَضُ النارُ عليهم، وأدخلت رأسي في القلنسوة، وبُلِّغت سوءاتهم هجراً، فقَلب»[1].

وأمثلته متعددة[2].

◈ سادساً: التلميح:

التلميح في اللغة: جاء في اللسان: «لمح إليه يَلمَح لمحاً وألمح: اختلس النظر، وقال بعضهم: لمح: نظر»[3].

وهو **في الاصطلاح البلاغي:** «هو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره»[4]، وجعله القزويني في باب السرقات[5].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية ٩١]، فقال: «قال بعضهم[6]: وفي هذه الآية نوعٌ من البديع يسمى التلويح وهو: أن يُشار إلى قصة مشهورة أو مثلٍ سائرٍ أو شعر نادر في فحوى كلامك من غير ذِكره، ومنه قوله:

---

(١) الدر المصون: ٢/٢٧٧.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٢/٨٦، ٢/٤٣٧، ٦/٤٤٥.

(٣) لسان العرب، مادة (لمح).

(٤) نهاية الإيجاز، ص١١٢، وينظر: الإيضاح في شرح مقامات الحريري، ص٢٢، ومعجم المصلحات البلاغية: ٣/٣٤٤.

(٥) ينظر: التلخيص، ص٤٢٧.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٥/٨٨.

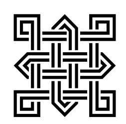
اليومَ خمرٌ ويبدوا بعـــده خَبَــرُ   والدهرُ مِنْ بين إنعامٍ وإبْآسِ[1]

يشير لقول امرئ القيس لَمَّا بلغه قتلُ أبيه: اليومَ خمرٌ وغداً أمر. وقول الآخر:

فواللهِ ما أدري أأحــلامُ نــائم   أَلَمَّت بنا أم كان في الركب يوشَعُ[2]

يُشير إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس...

وكأن هذا الكلامَ وهو ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[3] اشتُهر ما هو بمعناه بين الناس فأشار إليه مِنْ غير ذكر لفظه. ولما ذكر الشيخ التلميح لم يُقيِّده بقوله: «من غير ذكره» ولابد منه، لأنَّه إذا ذكره بلفظه كان اقتباساً وتضميناً»[4].



(١) البيت لبشار بن برد، ديوانه: ٤/١٠٠.

(٢) البيت لأبي تمام، ديوانه، ص٣٨٧.

(٣) سورة التوبة: الاية ٩١.

(٤) الدر المصون: ٣/٤٩١، وينظر: البحر المحيط: ٥/٨٨.

الخاتمة

١. دقة تسمية السَّمين الحلبي تفسيره بـــ(الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)؛ فإنَّه يتلاءم وطبيعة منهجه الذي اختارَهُ لنفسه، وهو وجود تأليف يضم جميع علوم القرآن، فقد جمع فيه العلوم الخمسة: الإعراب، والتصريف، واللغة، والمعاني، والبيان، ذلك فإنَّ القارئ وطالب العلم يجد بغيته في هذا التفسير فهو يلتقي بتحليل مفصل لكلمات القرآن الكريم وأصولها واشتقاقاتها وتطورها واستعمالها.

٢. اعتماد السَّمين الحلبي على آراء اللغويين والمفسرين الذين سبقوه كالزمخشري وابن عطية والعكبري وأبي حيان الذي كان شيخه، فهو من أكثر العلماء الذين اعتمد عليهم -أي أبي حيان- فقد كان ينقل آراءه نقلاً مُطابقاً، ولكننا نجده في بعض المواضيع يخالف شيخه ويُناقش آراءه، وهذا يدل على قوة شخصيته العلمية وعدم اعتماده على النقل فقط.

٣. توصل البحث ومن خلال مقارنة أقوال السَّمين الحلبي مع أقوال علماء التفسير والبلاغة، إلى أن السَّمين الحلبي قد فهم جميع المصطلحات البلاغية التي أوردها في تفسيره فهما واضحا دقيقا لا يتعارض مع أقوال من سبقه من العلماء.

٤. توسع السَّمين الحلبي في علم المعاني أكثر من علم البيان والبديع، وهذا واضحٌ من مقدرته اللغوية وثقافته المعرفية في النحو واصوله، وهذا مما انعكس واضحاً في تناوله لعلم المعاني.

٥. اهتم بعلمي البيان والبديع وحلل الكثير من الآيات تحليلاً جمالياً، وهذا مما أكسب تفسيره قيمة علمية عالية.

المصادروالمراجع

❖ القرآن الكريم.

أ

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن عبد الغني الدمياطي، (ت١١١٧هـ)، تصحيح: علي الضباع، دار الندوة الجديدة، (د. ت.).
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الندوة، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- إتمام الدراية لقراء النقاية، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العماري أبي السعود، (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.).
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)، صححها السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.).
- إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٧م.
- الإعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت٦١٦هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، ابن الأنباري، (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١م.

- أنوار التنزيل في أسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، (ت٧٩١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، (ت٧٣٩هـ)، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، (د.ت).

ب

- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (ت٧٢١هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت.).

- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد عوض، وشارك في التحقيق، د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي، (ت١١١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت.).
- البديع في علم البديع، يحيى بن معطي، تحقيق ودراسة: د. محمد مصطفى أبو شوارب، راجعه الأستاذ الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٣م.
- البديع، عبد الله ابن المعتز، (ت٢٩٦هـ)، نشر وتعليق افناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.
- بديع القرآن، ابن أبي الاصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- البلاغة عند السكاكي، د. أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- البيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، روز غريب، بيت الحكمة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٩م.
- بلاغة التراكيب، دراسة في علم البيان، أ.د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت.).

- البلاغة من منابعها (علم المعاني)، د. محمد هيثم غرّة، دار الرؤية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.
- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، (ت٣٨٨هـ)، تصحيح د. عبد العليم، حيدرآباد، الهند، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

ت

- تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، دمشق، ١٩٥٥م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت.).
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري، (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، القاهرة، ١٩٩٥م.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، (ت٨٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، (د.ت.).
- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، (ت٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.).
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء ابن كثير، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، (ت٧٣٩هـ)، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.
- تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني)، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، (ت٧٩١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، ط٣، ١٩٥٠م.

ج

- جامع البيان في وجوه تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري،

(ت٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ) مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية، بغداد، ١٩٩٠م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بتفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوق الثعالبي، (ت٨٧٥هـ)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، (د.ت.).
- جوهر الكنز، نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، الاسكندرية، مصر، (د.ت.).

ح

- حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح ضمن كتاب شروح التلخيص، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي، دار الطباعة الخديوية، (د.ت.).
- حاشية الصبان، محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه ابو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق: د. أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، أحمد الدمنهوري، مطبوع على حاشية شرح عقود الجمان للسيوطي، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.
- حماسة أبي تمام، تحقيق: د. عبد الله عسيلان، مطبوعات جامعة الامام، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

خ

- الخصائص، أبي فتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
- خصائص التراكيب دراسة وتحليل لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة.
- خزانة الادب وغاية الأرب، أبي بكر تقي الدين الحموي، (ت٨٢٧هـ).

د

- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.
- الدرر المنثور في التفسير بالماثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أبي العباس بن يوسف

ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسَّمين الحلبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. جاد مخلوف جاد، د. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧١هـ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، (د. ت.).
- ديوان الأخطل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، حلب، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- ديوان ابن المعتز، مطبعة الاقبال، بيروت.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٨م.
- ديوان البحتري، دار بيروت للطباعة، ١٤٠٨هـ.
- ديوان بشار بن برد، شرح وتكميل: محمد الطاهر بن عاشور، طبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- ديوان جرير، نشر الصاوي، ١٣٥٣هـ.
- ديوان الخنساء، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، مطبوعة الأردن، ١٤٠٩هـ.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح ثعلب، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الهادي، مصر، ١٩٦٨م.
- ديوان القتّال الكلابي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، مصر، (د.ت).
- ديوان كثير عزة، نشر: هنري بيرس، الجزائر.
- ديوان لبيد، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- ديوان المتنبي، ضبطه وصححه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٥هـ.

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: د. شكري فيصل، بيروت، ١٩٦٨م.
- ديوان الهذليين، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

ر

- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.).

ز

- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- زهرة التفاسير، الإمام محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، (د.ت.).

س

- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

ش

- شذرات الذهب، ابن العماد، مصر، ١٣٥١هـ، (د.ت).
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الازهري، ت ٩٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، (د. ت.).
- شرح عقود الجمان، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٩م.

- شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش، ت٦٤٣هـ، المطبعة المنيرية، مصر، (د. ت.).

ص

- الصاحبي في فقه اللغة، أبي الحسن أحمد بن زكريا أحمد بن فارس، ت ٣٩٥هـ، تحقيق: د. أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت٢٩١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.).
- صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- صناعة الكتابة.

ط

- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطانحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.

- طبقات المفسرين،/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، ت ٩٤٥هـ، تحقيق: علي محمد عمر، مصر، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٣هـ.

ع

- علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت ٤٥٦هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط٢، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

غ

- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجوزي، نشره، برجستراسر، مصر، ١٩٣٣م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

ف

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١١٢٥هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، مكتبة المتنبي، القاهرة.

ك

- كتاب الصناعتين، أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت ٣٩٥هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ط.)، (د.ت.).
- كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت ١٨٠هـ، تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت ٥٣٨هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.).
- الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، طهران، ١٩٤٧م.
- الكشف والبيان، أبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي، ت٥٩١هـ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

ل

- لُباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن، علاء الدين علي بن

محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ت٧٨١هـ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، ط٢، (د.ت.).
- اللّباب في علوم الكتاب، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

م

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، ت ٦٣٧هـ، تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٩٨٣م.
- مجاز القرآن، أبي عبيدة معمر بن المثنى، ت٢١٠هـ، علق عليه: د. فؤاد سزكين، مطبعة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٨١م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي، ت٥٤١هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلفمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت٧٠١هـ، دار مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧١م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، القاهرة، ١٣١٤هـ.
- معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- معاني الحروف، أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ت ٣٨٤هـ، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، ط٣، ١٩٨٤م.
- معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت.).
- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، ت٣٣٨هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (د. ت.).
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ،

تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المعجزة الكبرى، القرآن، الشيخ محمد أبو زهرة، ت ١٩٧٢م، دار الفكر العربي ودار الحمامي، ط١، ١٩٧٠م.
- معجم الشواهد العربية، عبد السلام محمد هارون، مطابع مصر، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٤م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج١، ١٩٨٣م، وج٢ ١٩٨٦م و ج٣، ١٩٨٧م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الأسد أبادي، ت٤١٥هـ، دار الكتب المصرية، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.
- مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ.
- مفتاح العلوم، أبي يعقوب محمد بن علي السكاكي، ت ٦٢٦هـ، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، (د. ت.).
- المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت٤٢٥هـ، داغر القلم، دمشق، (د. ت.).
- المقتضب، أبو العباس المبرد، ت ٢٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٣م.
- الميسر في البلاغة العربية، أبي عبد الله ابن شعيب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ط١، ١٩٩٢م.

ن

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٤، (د. ت.).
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، ت ٨٣٣هـ، إشراف علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت، (د. ت.).
- نضرة الأغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي، ت ٦٥٦هـ، تحقيق: د. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، محمد منيف فقيهي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، ١٩٥٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت٨٨٥هـ، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، ت ٣٨٤هـ، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٦م.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.).
- نهاية الأرب في فنون الادب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ت.).
- نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين الرازي، القاهرة، ١٣١٧هـ.

و

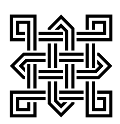
- الوجيز، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ت ٤٦٨هـ، طبع بهامش التفسير المنير، مطابع مصر للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣١٥هـ.

ي

- ياقوتة الصراط، أبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب، ٣٤٥هـ، تحقيق: محمد يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

◈ الرسائل الجامعية:

- أسلوب الحذف في القرآن الكريم، (رسالة دكتوراه)، أحلام موسى حيدر الزهاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.
- أسلوب القصر في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير) أميرة حسن عبد الله الطيّار، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦م.
- فن الالتفات في البلاغة العربية، (رسالة ماجستير)، قاسم فتحي عامر، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.



المحتويات